

روايات مصرية الجيب



40

وراء الباب المفلتق

ما وراء الطبيعة

Looloo

www.dvd4arab.com

علاء خالص

مقدمة

موجباً بكم ..

جميعكم يعرف تلك العادة السخيفة التي يصعب أن
أتخلي عنها ، ألا وهي تقديم حلقة رعب كلما فرغنا
من عشرة كتيبات ، وهي عادة لا أجد لها تفسيراً ،
وكل العادات الضارة غير ذات التفسير يستحيل أن
أتخلي عنها ..

هذه هي حلقة الرعب الرابعة .. وهي كالعادة
مجموعة من القصص القصيرة ، والقصيرة جداً
تحدث جميعاً عن موضوعي المفضل : الرعب ..
في هذه المرة نناقش جانباً من الرعب ، لا يختلف
عليه اثنان أو - كما يقول أجدادنا - لا تتناطح عليه
شأتان ، وهو الرعب الذي يكمن خلف باب مغلق ..
ما الذي ينتظرنا خلف الباب المغلق ؟ ما الذي
سيحدث لو مددنا أيدينا المرتجفة إلى المفتاح ، ثم إلى
المقبض ، وسمحنا لفضولنا الإنساني أن يرتوى ؟ هل
نعود أحياء ؟ هل نعود سالمين ؟ هل تبقى بحلوقةنا

قوة تسمح لنا بسردي هول رأينا؟ كثيرون
تساءلوا .. وكثيرون لم تبقى لهم حلو قاذرة على
الكلام بعدها !!

ها أنتم أولاء حولي .. وها هي ذي النار وجلستنا
المعتادة حولها ، وبعض أقداح الشيكولاتة الساخنة
طبعاً ، والشوق في العيون اللامعة ، أدعو الله
ألا يتحول إلى خيبة أمل بعد انتهاء القصة ..
واربوا هذا الباب ، ولكن تأكدوا من أنه لن ..

ينفلق !!

آي !!

لا عليكم ! إنها أمسية طويلة ولربما وجدنا المفتاح
بشكل ما في نهايتها ، أو لربما سمع استغاثتنا أحدهم
بالخارج .. لا تحملوا هم الخروج ، ولنصغ الآن إلى
العجوز (رفعت إسماعيل) وهو يحكي لكم حلقة
الرعب الرابعة ..

وراء الباب المغلق

كنا سبعة .. تباينت وجوههم وثيابهم وأهواؤهم ،
لكننا اجتمعنا في تلك اللحظات التي لا تنسى ..
كنا سبعة .. أربعة رجال وثلاث نساء ، وحاول
الرجال أن يتصرفوا كما يليق برجال مهذبين ، لكن
ظروف الرعب التي مررنا بها جعلتنا نفقد ميراث
الحضارة في لحظات ، وصارت قواعد اللياقة ترفاً
لا يتحملة الموقف ..

كنا سبعة .. وهو رقم تغاءلت به الثقافات على
أنواعها ، لكننا تمنينا للحظة لو ينخفض هذا الرقم
قليلاً .. ولهذا أسبابه ..
كنا سبعة .. لكن الاطمئنان لم يكن ثامننا ..

بدأت القصة في خريف عام 1971 ..
والفصول في مصر قد تتشابه ، وقد تختلط ، لكن
شيئاً واحداً يميزها هو الرائحة .. رائحة الأسفلت
المبتل في الشتاء .. رائحة حبوب اللقاح وزهور

البرتقال القادمة من أرض محروثة : هذا هو الربيع ..
رائحة العرق ورائحة أنسام الليل الرحيمة في الصيف ..
لكن الخريف له روائح عديدة .. سيحدثك التلميذ عن
رائحة ورق تغليف الكتب ، ورائحة המחاة في الحقيبة
الجلدية الجديدة .. وسيحدثك الموظف عن رائحة
(الجواقة) التي لا تفارق الثلاجة .. وستحدثك المراهقة
دامعة العينين عن رائحة الحزن ذاتها .. وسأحدثك
أنا عن رائحة المساء المبكر ..

الخريف ! يا لعذوبته .. يا لقسوته !

بدأت القصة في خريف عام 1971 ..

اتصل بي صديق قديم هو الدكتور (جابر إبراهيم) ،
يدعوني إلى قضاء سهرة الخميس في داره بـ (المقطم) ..
قلت له إنني سأمرض يوم الخميس ، وإن صحتي
لم تعد تحتل السهر ، لكنه ألتجر ضحكاً :

- « يا (رفعت) ! يا لك من مخبول ! أنت تعرف
أن سهرة في دارى لا تعنى سوى بعض المناقشات
المثقلة الذكية ، وربما بعض قطع (الجاتوه) مع
الشاي .. لا شيء مما تخاف القدوم لأجله .. »

كدت أصارحه أن هذا بالذات هو ما أخاف القدوم
لأجله .. سيكون هناك كثير من الأوغاد الثرثارين الذين
يتكلمون ويضحكون بصوت عال ، وكل منهم يحاول
أن يبرهن للآخرين أنه بخير وهم ليسوا بخير ..
في النهاية قبلت كي أخرسه ، وإن كنت أعترف أن
أسماء بعض الموجودين بدت لي مغربة بالتأكيد ..
نظرت لنفسى في المرأة ، وقلت :

- « ألن تكف عن الذعر يا (رفعت) ؟ متى تصير
حيواناً اجتماعياً ، وقد كاد العقد الخامس من عمرك
ينتهى ؟ »

لكن الإجابة كانت جاهزة لدى :

- « لن أصير حيواناً ، اجتماعياً أبداً .. فمن
رابع المستحيالات أن تلقى كلباً عجوزاً حيلة جديدة
كما يقول الإنجليز .. »

ولكن من هو (جابر إبراهيم) ؟

لا أعرف الكثير عن هذا الرجل .. أعترف بهذا ..
إنه أستاذ جامعى .. يقوم بتدريس الجراحة لطلبة
الطب ، ولديه عيادة هي نافورة مال في واحد من

أرقى أحياء القاهرة - ولن أذكر الحى طبعاً حتى
لا أمنحه دعاية مجانية - وهو متأنق جداً ، ولسبب ما
صار من نجوم الإعلام الحقيقيين الذين يندر أن تخلو
صحيفة من صورة لهم ، ولا بد من أن تراه مرة
أو مرتين أسبوعياً فى التليفزيون ..

نشأت بيننا صداقة ما ، من طراز سطحى لا يخلو
من المجاملة .. إنلى رجل كثير المعارف ، قليل
الأصدقاء كما تعرفون ..

ولم أتخيل قط أن علاقتنا يمكن أن تكون أعمق من
هز الرأس من على بعد كلما التقينا ، وإخبار مرضى
تضخم الطحال - الذين ينوى استئصال طحالهم - أن
الجراحة لن تفيدهم بشيء ..

فكيف أمضى أمسية عند هذا الرجل ؟

لكن الإغراء كان قوياً كما قلت .. فالرجل يملك فيللاً فى
(الملقط) يقال إنها ، أروع منظر يمكن أن تراه فى حياتك ،
وقائمة المدعوين لا بأس بها ، تتضمن أسماء مثل
(محمود عونى) الكاتب الصحفى الشهير ، و (هيام)
الممثلة الشابة بارة الحسن ، ومطرب شاب نسيت
اسمه يقنى مثل (عبد الحليم حافظ) دون توفيق كبير ..

لماذا أذهب إذن ؟ لأن العمر يعضى ، وأنا لم أر
كل شيء بعد .. ما زالت هناك أشياء أخرى غير
الزومبيين والمذءوبين تحتاج إلى أن أراها قبل أن
أغض عيني فى رضا ، وأموت ..

وفى الثامنة من مساء الخميس ، دخلت سيارتى
العتيقة فى حياء وتهيب ذلك العمر المحاط بالأرهار عند
مدخل الفيلا .. كانت السيارات الواقعة تشى بالشراء
- حسب مقاييس هذه السنة - وشعرت بالفعل بأن
عجلات سيارتى ترتجف فى خجل .. لحسن الحظ
كنت أرتدى البذلة الكحلية التى تجعلنى فاتناً ، وقد
سكنت على نفسى نصف زجاجة من (الكولونيا) التى
أهدتها لى ابنة أختى فى عيد ميلادى العاشر ..

فتح لى الباب خادم نوبى يرتدى طربوشاً وحزاماً
عريضاً من نفس اللون فوق جلبابه الأبيض ، وبأدب
اقترانى إلى قاعة فسيحة تنتشر فيها الأرائك فى
فوضى منظمة .. ثمة موسيقا راقية قادمة من
مكان ما أو إضاءة عادية ساطعة كإضاءة حفلات
الغرس لا يميزها شيء ..

عدد من القوم يجلسون أو يقفون ، غارقين في
محادثات فائتني بداياتها بالطبع .. وسمعت من تقول
لي في تهذيب :

- « مرحباً يا د. (رفعت) .. أنا (ناهد) .. »
استقرت مرتباً لأجد سيدة في منتصف العمر ،
تضع على رأسها جمة صفراء عالية لامعة كأنها من
الخزف - وهي المودة في هذا الزمن - وفيما عدا هذا
لم تبد لي مجنونة أو بلهاء ..

- « أنا حرم الدكتور (جابر) .. كيف عرفتك ؟
وهل يخفى القمر يا دكتور ؟ .. أنت اليوم أشهر من
نار على علم ، ولا يمكن إقامة حفل يضم نجوم
المجتمع دون أن تدعى إليه ! »
بحثت عن منديل لي لمسح قطرات العرق على
صنعتي ، وقلت :

- « هذا شرف لي .. وأين هو ؟ »
ضحكت في مرح ضحكة خنفاء أرستقراطية :
- « بعلی ؟ ليس هنا .. ثمة جراحة عاجلة جعلتهم
يستدعونه .. إنه لا يكف عن هذه اللعبة السخيفة :
هجرني وحدي دون صديق ولا معين .. لكنه سيعود
بالتأكيد .. لا بد أن يعود فلا دار له إلا هنا .. »

وببساطة جذبتني من كم سترتي تقادني إلى حيث
اجتمع عدد من ضيوفها .. وبأناقة كالتى تراها في
السينما قاطعتهم وأجرت عملية التعارف :

- « صبراً يا شباب .. معى ضيف خارق للعادة هنا
هو د. (رفعت إسماعيل) .. قاهر الأشباح ! »
بدا الغباء على الوجوه ، فأدركت أن سمعتي لم تصل
إلى هنا .. فحاولت أن تساعدهم على التذكر :
- « (بعد منتصف الليل) ! البرنامج الرهيب
الذى منعه الرقابة ! لقد كان د. (رفعت) هو ضيفه
الدائم .. »

أخيراً تذكر واحد أو اثنان شيئاً كهذا ، لكنى لاحظت
في ضيق طريقتهما في تقديمي ، وهي طريقة لم تخل
من السخرية .. سخرية خبيثة جداً يصعب الإمساك
بها .. وأدركت أن مظهرى صدم هؤلاء القوم ..
وأنهم يكتفون في أذهانهم بعض الخواطر الساخرة
عن نوب هذا الدكتور (جابر) ..

صعد الدم إلى رأسي ، وفكرت أن أكون سمجاً باتراً
عند أول بادرة تدل على التحرش .. من أنتم يا حمقى ؟
وماذا تعرفون عن أي شيء كي تعطوا أنفسكم الحق
في انتقادي ؟

قالت مدام (ناهد) ، وهى تشير إلى مكان خال
على الأريكة :

- « هلم اجلس يا دكتور (رفعت) .. دعنى أقدم
لك هؤلاء السادة .. »

إن هذه الحسنة لا تحتاج إلى تعريف .. لقد رأيت
صورتها مراراً ، ولم أنس اسمها .. الممثلة الشابة
(هيام) التى لو كان تمثيلها فى مستوى جمالها ..
لكانت لدينا (سارة برنار) أخرى ..

والسبب الذى جعلنى لم أنسها ليس مراهقة متأخرة ،
لكنها تشبه (ماجى) كثيراً ، خصوصاً عندما تنظر
للسقف وتضم شفتيها كأنها تتذكر .. هذا هو السبب
الوحيد الذى جعلنى أتذكرها جيداً ..

لقد قامت (هيام) بأداء ثلاثة أو أربعة أدوار فى
أفلام ملونة ، لكن حال السينما المصرية قبل حرب
أكتوبر كان مضطرباً ، وكان مصاباً باتعدام وزن
وتخلف عقلى واضح ، مما جعل من العسير على
السينما أن ترى فى هذه الممثلة سوى جمالها ..
وحقاً كانت (هيام) بارعة الجمال ..

أما الشاب ذو النظرات الحزينة والسالفين الطويلين
والشامة ، والذى يتكلم همماً وهو يسبل عينيه ، فهو
المطرب الشاب (سمير الصياد) .. وهو قد أوغل فى
تقليد (عبد الحليم حافظ) حتى أنه يوشك على
الإصابة بالبلهارسيا وتليف الكبد مثله .. له أغنيتان
علقتا بأسماع الناس ، لكنى لا أذكر منهما سوى
مقطع واحد يقول :

« أنا لو أنساكى حافتكر مين ؟ من بعد هواكى
حياتى أين .. »

وذلك بسبب الكسر الواضح للوزن باستعمال
(حافتكر) فى الشطرة الأولى ، ومن العجيب أن أحداً
لم يلحظ هذا أو يهتم له ، وكلما أبدت تأفك من هذا ،
ضحك محدثك فى استخفاف وقال : « إنه غناء على
كل حال .. ليس الأمر بهذه الخطورة ! » .. فتحمراً
أذناك خجلاً ..

أما عن صوت الفتى فكان لا بأس به ، ما خلا
حشرة معينة فى حنجرتة تفريك باستعمال أقرب
عصا كى تحاول تسليك حنجرتة بها ..

ثالث الجالسين هو (محمود عوني) .. الكاتب الصحفي الشهير ، الذي يرأس تحرير ثلاث صحف واسعة الانتشار .. وهو متألق يدخل القلوب ، ويبتسم في وقار ، وقد حرص على أن يطيل سالفه الأشعثين الشائنين ليعطياه منظرًا غريبًا كقروء (الهابون) .. كان كاتبًا لا بأس به ، وقد أحببت كتاباته حقًا ، وأعتقد أنه إنسان ذكي .. الغبي بين الكتاب يفتضح أمره سريعًا ..

رابعة الجالسين هي الشاعرة (نادية فهم) .. وهي شاعرة في الأربعين تدخل بإفراط .. وتكره الرجال ، باعتبارهم اللصوص الذين ظلموا مسلمون المرأة حقوقها منذ فجر التاريخ حتى اليوم .. هذا نمط معروف ، ولا داعي للكلام عنه أكثر ..

كان هناك كذلك مخرج سينمائي عجوز هو الأستاذ (حسين أبو النجا) .. وهو من جيل الرواد كما يقولون ، ولم يكف يومًا عن الإخراج - السينمائي طبعًا - لذات الحكمة .. بنت الحارة الشهمة الشجاعة التي يقع ابن الأكابر في هواها ، ثم تحاول خطيبة ابن الأكابر منع النهاية السعيدة لهذه القصة .. لقد قدم

الرجل مائة فيلم ، كلها على مستوى واحد من السوء .. لكن المعجزة التي جعلته يستمر دون أن يموت ، جعلته بحق جديرًا بأن يكون من رواد فن السينما ، وصار اسمه (المخرج الكبير) ..

هؤلاء هم أهم الوجوه ، وقد تناثر آخرون من حولنا ، لكني لم أميز منهم واحدًا بعينه ، وتساقطت الأسماء سريعًا ..

بدأت الجلسة متحفظة ، ثم دعا أحدهم المطرب إلى الغناء ، وتعالى الأصوات ترجوه على غرار (غن يا وحيد) ، فراح يتحنج في تواضع ويشير لحنجرته بما معناه إنه لم يستعد ..

في النهاية برز عود من مكان ما ، وبدأ الرجل يعزف ، وأطلق صوته المشروخ يغنى .. و .. وبدأ البعض يصفقون مع اللحن ..

أعترف هنا أنني بدأت أصفق بدوري ، ووجدتني ألققه في سرور .. هذا غريب ! في البداية كنت متشككًا مشتملًا من هذا الجو بأسره مع لمسة تعال لا بأس بها ، وفجأة اندمجت وهزمت .. في نفسي تحرك ذات الطفل الموجود لدى الجميع ، والذي يسه

ويشعره بالفخر أن يجلس مع المشاهير .. حتى
دعاباتهم التي - في مكان آخر - كنت سأجدها سمجة
مبتذلة ، بدت لي هنا جيدة لماحة لا تخلو من الذكاء ..
راح الفتى يلوح برأسه يمينا ويسارا ، وهو يردد
دون كلل :

« أنا لو أنساكي حافتكر مين ؟ من بعد هواكي
حياتي أنين »

وخطر لي أن مؤلف كلماته أحقق دون شك ..
يكفيه استبدال (راح أعرف مين ؟) بـ (حافتكر مين ؟)
لتستقيم الأمور ، ولما سمح لواحد مثلي بأن ينتقد
ملكاته التأليفية ..

دارت المرطبات - فقط لحسن الحظ - ومعها
الجاتوه ، وحلوى ما في أطباق تشبه زيول حيوان
(الأرماديللو) ..

جلست جوار الأستاذ (محمود عوني) تناقش مستقبل
البلاد .. متى تنتهي حالة اللاسلم واللاحرب ، وهل
لا بد من معركة فاصلة أم لا ..

كان نكيا بالفعل ، وقد قدمت لي آراؤه الكثير من
الأفكار الجديدة ، إنه رجل يعرف أكثر بكثير مما يقول ..
واحد من (الباصقين فكريا) لو سمحتم لي بهذا
التعبير .. ولاحظت أنه لا يعلن عن آرائه إلا همسا ،
وهو يتلفت من وراء كتفيه .. هذا بالطبع يتناسب مع
خطورتها ..

لا أرى متى ولا كيف جرى بنا الوقت بهذه
السرعة ؛ لكنني نظرت إلى ساعتى لأجدها الواحدة
بعد منتصف الليل ..

كان عدد لا بأس به من الحاضرين قد انصرف
بالفعل ، والغريب أن الدكتور (جابر) لم يظهر بعد ..
حفل في داره يوشك على الانتهاء ، وبرغم هذا لم تره
لحظة واحدة ..

ونقلت خواطري للمدام (ناهد) التي كانت واقفة
على الباب تترثر مع رجل أصلع وزوجته التي تدثرت
بالفراء على كتفها ..

قالت (ناهد) :

- « هذا هو شأن الأطباء .. ألسنت طبيينا
يا د . (رفعت) ؟ »

شعرت بالخجل من نفسي لأننى أملك الوقت الكافى
الذى أمضيه فى حفل كهذا ، دون أن أنهمك بجمع
المال .. يالها من فضيحة !

كدت أنهض لأنصرف مودعاً محدثى اللبق ، وباقى
الضيوف ، لكن مضيفتنا النصف حسناء رفعت إصبعها
السبابة إلى جانب رأسها فى حركة أنيقة ، وقالت :

- « لا .. لا ! اتصرف قبل عودة زوجى ؟
مستحيل ! »

صارحتها بأننى بدأت أميل للاعتقاد بأن زوجها قد
توفى للأسف .. وأننى لن أنتظر هاهنا إلى ساعة
الحشر بانتظار عودته ..

نظرت لى فى خبث ، ثم نظرت للموجودين ،
وراحت تعذهم بإصبعها فى شرود :

- « واحد .. اثنان .. خمسة .. ستة .. أنا
السابعة .. لا بأس ! »

ثم بانتصار هتفت :

- « لقد حان الوقت ! »

تبادلنا النظرات ، وكف المتحدثون عن الكلام ،
وتساعل سائل :

- « حان الوقت لماذا ؟ »

- « حان الوقت كى لا ينصرف أحد ! »

سألتها فى غباء :

- « سبعة لن ينصرف أحدهم ؟ ما هذه اللعبة ؟ ! »

اتجهت إلى مركز القاعة ، وصفتت بيديها طالبة
الصمت ، ثم صاحت :

- « يا سادة أنا أسفة على الإزعاج .. لكن الحقيقة

هى أننا جميعاً محبوسون هنا ، وحتى يعود زوجى .. لقد

رحل الخدم وأغلق آخرهم الباب بالمفتاح .. النوافذ فى

الطابق الأول كلها مدعمة بالحديد .. الهاتف لا يعمل الآن

لأن أحدهم عطّله من الخارج ! ! »

هبت الكل واقفين ، وتعالى الكلمات الغاضبة كما

لا بد أن تتخيل ..

وصاح المخرج العجوز فى عصبية :

- « ما معنى هذا ؟ هل هذا مخطط إجرامى ؟ أية

لعبة هذه ؟ »

وصاحت الممثلة الحسناء بالهستيريا الواجبة :

- « رباه ! ماذا تعنى هذه المرأة ؟ ! »

تراجعت مدام (نهد) ثوراء خطوتين لتهدى
حمام القوم ، وقالت :

« هذه هي تعليمات زوجي ، وأنا ها سجينة
مثلكم لماذا " لو أنكم جنستم والتزمت الصمت
لاستطعت أن أشرح ! »

تبادل النظرات ، ثم عدنا لمجائنا متوقعين الأسوأ .

في رزاة سألها الكاتب الصحفي

« مدام (نهد) واضح أننا في موقف
بلا تفسير أو أنك تمنكين تفسيره الوحيد وأنا
لنكون مسرورين حق لو قدمت لنا ما يزيل حيرت »
ابتسمت ، وجسست واضعة ساقا على ساق ، وقد
اعتمدت برافقيها على ركبتيها ، وقالت في هدوء :
« الأمر يتعلق بلعبة من نوع خاص . »

« مرحباً يا أصدقاء .. »

« أتم جميع تعرفون هذا الصوت دون شك
إنه ضوئي لكن قليلين منكم يمكنهم ملاحظة
انحسارها التي بدت تسرب إلى نبراته ربما
لم تنصت سوى (نهد) ، وقت لها كلاما كثيرا

عن برد المساء والتهابات الحلق ، واحسبها صدقت
ما قلت .. »

كان الصوت ينبعث في تودة من جهاز التسجيل
الذي وضعته مدام (نهد) على المنضدة الزجاجية
مما ومع دوران الشريط كانت عينها تتسعان
بهديب الصناعية الكثيفة ادركت دون جهد أنها
لا تفكر شيئا أنها تسمع هذا الشريط للمرة الأولى
حقا

كانت قد أحضرت لك الجهاز ، ومعه شريط تسجيل
من الطراز العتيق ذي البكرات ، وقتت لنا . ان هذه
هي الرسالة التي تركها زوجها للموحددين ها ،
وامرها ألا تبدأ التشغيل إلا حين ينخفض عدد
المدعوين إلى سبعة بمن فيهم هي ذاتها

بالطبع وعدته بذلك وبالطبع - وإن لم تقل هذا -
استمعت إلى الشريط خمسة كي لا تفجأ بشيء

الأمر الذي يؤكد لي أن زوجها قد قام باستبدال
الشريط قبل ان ينصرف ، وبعد ما تأكد من أنها لن
تجد وقتا لسماع هذا الشريط الجديد النتيجة هي
أنها حائرة مذهشة ، تسمع هذه العبارات للمرة
الأولى وإن لم تعترف لنا بسبب حيرتها

ويستمر الصوت من جهاز التسجيل :

- « لو كن الدكتور (رفعت إسماعيل) مازال موجودا ، فربما استطاع أن يفهم معنى ما أقول .. إن سرطان الحنجرة يصيب الجراحين كما يصيب سواهم ، وسيكون مملا أن أقول : يا ليتنى امتنعت عن التدخين حين كن هذا بوسعى لكن الألوان قد فت ، والبكاء على اللبن المسكوب يزيد الأمور سوءا هنا شهقت الزوجة ، وغطت فها المصبوغ بأناملها مدونة كتمان صرخة .. واضح تماما أنها لا تعرف عن الموضوع شيئا ..

الصوت يستمر :

- « سافرت إلى الخارج ، ولم أخبر أحدا بأننى أعتمد استشارة أساتذة جراحة الحنجرة في الولايات المتحدة ، وقد قالوا لى ما كنت أعرفه .. لقد صار العلاج متأخرا جدا ، ولم يعد من أمل لى إلا فى العلاج التحفظى الذى يجعل لحظات الموت أكثر بظنا .. »
ساد صمت طويل بعدها ..

كن السؤال الذى يتردد فى أذهان الجميع هو ما علاقة هذا كله بمسجنا ؟ لو أراد أن يموت فهذا شأنه ، لكن ما دخلنا بهذا كله ؟



در الصوت يسمع فى تودة من جهاز التسجيل الذى
وصعته مدام «شاه» على المنصدة الرجائية امامها

عاد انرحس بكنم بصوته الرصين ، ائدى بءاء امير
فيه الحسرة الان (فقط بعد ما قال ذلك ، لائى
لست معر يدعون الحكمة بائر رجعى) .

- « انبئة لى اكون فى (مصر) عندما تسمعون
هذا الشريط ساكون فى طريقى بالطائرة الى (الولايات
المتحدة) لاودى لنفسى احر حقوقى نحوها ، وهو
تحصيل حاصل كما تعلمون ، لكنى مضطر لعمله »
- « سمعكم تتساءلون عن السبب ائى جعلنى العيب
هذه النعمة الغريبة ادعوكم الى حفل ثم اتعيب عنه ،
وفى العالف - لو سارت الامور كم خططت لها -
ستحدون انكم سجدء فى دارى لسبب لا تفهمونه
ويمكننى ان اأبركم بما هو أكثر .. »

- « هء عاد اأخدم لديرهم سعداء بهذه العطءة اعلق
واحد منهم الباب الرئيسى كى لا تتمكنوا من ارحيل ،
ونم يسس ان يفت بعض الاسلاك فى صندوق توزيع
الائف بالاسارع لئىهى اأتمن ان تستدعوا اأءا^١ »

* لا تسس ان القصة بءء عام 1971 حيث لم يكن هءك
هالف مأمول ، ولو كس مع احد الموجودين لائهب القصة بعد
صفءة واحدة !

« كر هذا معروف لزوحى ، وبأماقها المعتادة قبلت
ان تشارك فيه لائى اأءت ان أضعكم فى اختبار ذكاء
لكيفية اأروج من هنا .. لكنها لم تعفء ولم تشك
لحظة فى ان الائقام هو غرضى الوحيد من كل هذا »
« انسى اأرهكم يا سادة ! اأرهكم واأره وجوهكم
الكالءة ائى تحشء فى دارى طمعا فى التسلية ، ولو لم
يكن وجودكم فى حياى مهف للرونق الاجتماعى -
مشكم مثل كلاب (الداسهاوند) ، واأخيول الأصيلء -
لأرءدكم شر طردة ، أو أبءدكم بأقرب عتبة مبيء
للصراصير أأءها فى بءى ؟ »

« لا داعى للضيق ! أنا لا أعنى بكلامى واأءا
بعينه منكم فلا يعلم سوى الله (سبحانه وتعالى)
من هم السبعة الذين تبقوا منكم فى هذا الحفل
وابنى لأساعل ..

أرى هن بقى (عادل زكى) ؟ تبأ له من منافق
لص أنا أعرف جيذا كم يكرهنى وكم ينسن على
ألسة لكن الأئعة ائى علمنا المأمع ارتداءها
مأكمة جيذا ، منقبة للغة الان وقد جاءت لحظة
الحقيقة يسرنى ان أعاقبه بطريقى

« ترى هل (سلوى عامر) هنا ؟ كنت طينة حياتى أمقت هذه المتصنعة المبتذلة التى تتظاهر بحبها للأدب . إنها أغبى من قمعة وأكثر خسة منها .. »

« هل المخرج الأحمق ضيق الأفق (أبو النجا) هنا ؟ أنا أعرف جيداً ندائه ، وتلاعبه بالتوجوه الجيدة . وأعرف أكثر من سواى أنه يكرهنى . »

« هل ؟ هل ؟ لن أعرف أبداً .. »

« لكنى متأكد من شيء واحد . زوجتى هنا . مهما كنت شخصيات الستة فلا بد أن (ناهد) هى السابعة .. »

« (ناهد) هى نموذج جيد للزوجة التى تصنع زوجها . تصنعه عن طريق تعذيبه وإرغامه على أن يفرق همومه فى العمل ومزيج العمل . إنها صنعتنى بالطريقة التى تصنع بها الكلاب المسعورة بطلاً فى العدو ! وطينة حياتى لم تكف عن إشعارى بالعسل . وبأنتى منحتها أقل بكثير مما تستحق . ما إن بدأ الثراء يدق بابى حتى قررت أن ترقى نفسها إلى طبقة جديدة ، وسرعان ما تحول (أبويا) إلى (بيبى) ، و (أمى) إلى (مامى) بمعجزة ما

« لقد التحلت شخصية سيده مجتمع ، وقررت فجأة أنى غير جدير بها : لأن مثيلاتها يمشين على الذهب ويرفلن فى الحرير فى ظروف أخرى مع رجال آخرين . وأصرحها أن مثيلاتها يضربن بالسياط يومياً لو كان لزوجهن أكثر حزمًا منى ! »

« شخص واحد هاهنا لا أحمل له ضغينة معينة ، ولرجو أن يسامحنى لو كان لم ينصرف بعد . » (رافعت إسماعيل) : هل أنت هنا يا دكتور ؟

« أنا لا أكرهك بالتأكيد . ربما كنت لا أطريقتك ، لكن هذا موضوع آخر .. أنت كائن فضالى عجيب . ومازلت أدهشكنما رأيت قامتك الناحلة ، وكمياتك المريض ، والملل يطل من عينيك وراء عويناتك السمكة .. »

« حقاً هذا لا يبرز الانتقام منك . لكنى كنت بحاجة إليك كما يحتاج أى حصاء إلى ملح . إلى توابل . »

« أنت تعرف الكثير عن عالم الرعب والأسرار المستفظة - أو هكذا يقولون ، وإن لدى هاهنا كثيراً من الرعب الذى يحتاج إلى وجودك .. »

سامحنى يا زميلى على ما قد تسببه لك هذه
الأمسية من متاعب ، واشكرنى على ما قد تضيفه إلى
خبرائك الراهية ..

« إن قواعد اللعبة هي البساطة ذاتها ، وقد
استمددتها من كل أساطير الباب المغلق في تراث
الإنسانية .

« أنتم ها هنا سجناء .. كلا . لا تحاولوا الهبوط
من الطابق الثانى لأننى أغلقت الباب الرئيسى الذى
يقود إليه ، وأبواب الفيللا غير قابلة للتحطيم .. ربما
الشيء الوحيد الذى سيتحطم هو عظامكم لو حاولتم
الغوص باب منها ..

« على أننى تركت ثلاثة أبواب موصدة فى الطابق
الأرضى . ثمة باب واحد يقود إلى الخلاص ، وبابان
يقودان إلى الهلاك التام لكم ، ولن أقول كيف طبعاً . «
« الباب الأول : هو الباب الذى يقود إلى غرفة
مكتبى الباب الثانى : هو الذى يقود إلى غرفة المعيشة
الصغيرة الباب الثالث : هو الذى يقود إلى غرفة
السينما .. إن (ناهد) لم يكن عندها وقت لدخول
هذه الغرف قبل الحفل ..

« تشاوروا بعناية ، واختاروا . ثم افتحوا الباب
الذى اخترتموه ولا تتدموا على قراركم هذا سيكون
الهول شديداً لو كان قراراً خاطئاً ، ولسوف تظفرون
بمئة تكتب عنها الصحف شهوراً بعد هذا

« إن هذا الموقف هو ببساطة تمثيل دقيق لحياتنا
كلها ثمة باب قد يقودك إلى المجد والخلود ، وباب
قد يقودك إلى الهلاك الأبدى المشكلة هي أن تحسن
الاختيار .. المشكلة هي ألا تختار الباب الخطأ أبداً
لا أرى كيف .. هذه هي لزممتنا جميعاً أنا قد اخترت
بابى ، وظفرت بسرطان فى الحنجرة ، وحقد لا ينتهى
على الأدعياء مثلكم .. ترى ماذا تختارون أنتم ؟!
« إن فرصتكم واهية لكنها ليست معدومة . سبعة
عقول لا بد أن تصل للإجابة الصحيحة ، حتى لو كانت
عقولا كعقولكم ..

« وهنا يسأل سائل : لماذا رقم سبعة بالذات ؟

« سؤال جيد وأنا أحب الاسئلة الجيدة

« لقد كان رقم (سبعة) شديد الأهمية فى حياتى ،
وتركزت كل أحداثها المهمة حول رقم (سبعة) هذا ،
ومن الغريب أن أحداً لم يندهش لكونى وئدت فى اليوم

السابع من الشهر السابع من عام 1917 . ربما في
الساعة السابعة مساءً كذلك ..

« إن رقم (سبعة) شديد الأهمية في الألبان ،
وشديد الأهمية في قصص الشعوب .. وقد ظل
رقم (777) يمثل الكمال المطلق في وجدان البشرية
منذ زمن سحيق ..

« لهذا قررت أن أمارس لعبتي على آخر سبعة
حمقى يبقون في داري بعد ما يرحل الجميع .
« أعرف أنكم ستشجعونني باللغات ، وسوف ينهال
سبابكم على رأسي ، لكنني أخرج لكم لساتي بلا هرج ،
وأقول : انني لا أعيا بما تقولون ، لأنني سأكون في
قبري قريب ، لا أهتم بشيء سوى ما أنا فيه ..
« وداعاً يا سادة ، وأتمنى لكم اختيارات موفقة ! »

* * *

تزل الشريط بدور بلا صوت سوى صوت البكرة
الرتيب ، وفي النهاية تحرر الجزء الأخير الشفاف
لنلحق بما سبقه ..
كنت أنا أول من تكلم :

- « صديد ' هذا الرجل قد صغط على (دمن) في
روحه نيلوث كنماته بكل هذا الصديد »

وقال الأستاذ (محمود عوني) وهو يتسعل غنيونه
- « زوجك يا سيدتي مجنون تماماً ، ومن الغريب
أن أحداً لم يلحظ هذا ، برغم أن (جنون العظماء
لا يمر دون تعليق) ، كما قل (شكسبير) »

كنت في أسوأ حال ممكن ، ولم تكن على استعداد
لسماع العبارات المكررة السخيفة على غرار (إنه
مجنون يا سيدتي) و (يا للهول !) وما إلى ذلك

الآن كان كل واحد مني يحتج بطريقة الممثلة
تحتج بكثير من الهستيريا ، مع بعض العبارات التي
صارت تفلت منها ، ولا تدل على أصل شديد الرقي
للأسف . المطرب يمد يديه في حيرة وعدم فهم
تمثليين كأنما هو يوشك على غناء أغنية عاطفية ،
ولمسان حاله يقول : أنا لا أستحق هذا أما الصحفي
الكبير فقطب جبينه بما معناه : تذكر عقلايين بعض
الشيء ..

الشاعرة الغاضبة ازدادت كثافة وسرعة تدحيتها ،
وراحت لفافة التبغ تهتز بين أناملها منذرة برؤال

عصبي . وراحت تقول عبارات من نوع (هذا لا يليق بنا) (دعاية سخيفة من إنسان ظنناه على قدره من النضج) ..

سألتهم وقد قررت أن أجلس :

- « من منكم أخبر الآخرين أنه هنا ؟ »

تبادسوا النظرات أخيرا قال المطرب وهو يتحسس شامة جبينه :

- « إن طبيعة حياتنا الاجتماعية تجعل من المستحيل التنبؤ بميعاد معين نعود فيه لديارتنا »
هذه هي المشكلة إذن . كل هؤلاء أشخاص من الممكن جدا أن يبيتوا خارج ديارهم . ولن يندهش أحد لغيابهم ..

سألت الكاتب الصحفي الذي أعرف أنه يعيش حياة اجتماعية مستقرة قوامها الالتزام :

- « هل تعرف المدام أنك هنا ؟ »

نفث المزيد من دخان الغليون ، وقال :

- « للأسف لا إتي مع الأولاد في (العجمي) هذه الليلة بالذات ولا تعرف أنني هنا . »
- « في (العجمي) في (أكتوبر) ؟ ! »

- « أتها تتعلق إسكندرية في الشتاء ؟ »

عب سألني المخرج العجور بنفاد صبر

- « وانت يا د (رفعت) ما هي ظروفك ؟ »

ابتسمت في حزن :

- « أت ؟ أتى آخر إنسان يمكن أن يسأل عنه أحد

أو يتساءل عن سبب غيابه إن موتى سبضايق

جيراسي لأسبب تتعلق برائحة لا أكثر ! »

وطعنا لم يكن من داع لسؤال السيدة (ناهد)

ونوحيد الذي يمكن أن يقتل عندها هو زوجها

زوجها الذي هو في طريقه الآن ليموت بـ (الولايات المتحدة) ..

الحقيقة هي أننا في مأزق لا بأس به لكن هل هو مأزق حقا ؟

نهضت (هيام) في هستيريا وعصبية متجهة نحو

أحد الأبواب في طرف القاعة ، وهي تصيح :

- « دعونا نخرج من هنا ! إن هذه النعة بدأت

تثير اعصابي لا أحب أن يتسلى أحدهم بي »

لكن (ناهد) لحقت بها ، فاعتصرت معصمها في

عصية أكثر ، وهمست من بين أسناتها :

« اهدنى يا (هيم) هذا هو باب غرفة
السينم . وهى من الغرف التى تكلم عنها الآن ! »
« لا يهمنى ما يقول هذا الأحمق .. سأخرج الآن
و »

« اهدنى !! »

دوت صرخة (ناهد) المنفرة المخيفة ، وأدركنا
أنها على حافة الانهيار بدورها .. ورأت الفتاة أن تفتح
الباب قد يكون خطرا وقد لا يكون .. لكن الخطر
الحقيقى الداهم هو (ناهد) التى تحولت إلى نمر
شرس ، وكن العرق مع الدموع قد غمر وجهها ،
وسال من الطلاء الذى دهنت به سحنتها ، فببت كأحد
محاربى (الابش) بعد ما سلخ رأس الجنرال (كاستر) ..
منظر محيف فعلا

سألتهما فى فضول علمى بىء :

« غرفة سينما ؟ هل لديكم غرفة سينما ؟ »
أخذت شهيقا عميقا ، وتراجعت عن الباب ، وقالت
فى ملل :

« لدى روجى الة عرض للهواة من طراز 16 مم ..
وهو بهوى مشاهدة الأفلام فى هذه الغرفة .. ليست

سينما بالمعنى الصحيح ، لأن أكثر الأفلام الروائية هى
مقاس 35 مم .. »

دعوتها إلى الجلوس . ثم ضمت منهم أن يلتزموا
الصمت ، كي نناقش بنظم ودون هلع موقفا غير المعتاد
هذا . لست من هواة استعمال اللغات الأجنبية ، مادام
فى العربية ما يقابلها ، لكنى رحبت أردد مرارا
بالإنجليزية (I don't know) لأن لفظة (I don't know)
تعبير بدقة عن الهلع الذى يسبب القدرة على التفكير ،
والذى يجعل رواد السينما يتدافعون على الأبواب
ويهشمون بعضهم البعض ، إذا شموا رائحة دخان .
ولمسيب كهذا تصمم أبواب قاعات المؤتمرات
والمسارح بحيث تفتح إلى الخارج لا الداخل
فكنت لهم محاولا أن أكون بربا عقليا

« كما ترون نحن فى وضع غير مسبوق
مازلت أشعر أن فى الأمر مزحة أو دعاية ما ، الفرض
منها اختبار أعصابنا .. »
« مستحيل ! »

كانت هذه من اللزوجة التى قالتها دون أن ترفع عينيهما ،
واعترضت قدح الشاي بين يديهما فى عصبية ، وغضمت :

- « لو كنت تعرف زوجي لعرفت أنه لا يمزح
وعندما يقول إنه ينوى هلاكنا فكأن تتق في هذا ! »
- « هذا هو فصل الخطاب .. »

وصيبت لنفسى بعض الشئ من البراد الخزفى
الأسبق . كان قد برد تمامًا .. لكنى كنت بحاجة إليه ..
وأردفت :

- « حسن .. يمكننا إذن أن ننتقل من فرضية
ثابتة ، هي أن هذا الموقف حقيقى .. وهو فى رأى
لا يخلو من تشابه مع مواقف شهيرة فى الأدب
العالمى .. إن من يخطب الحسناء (بورشيا) فى
مسرحية (تاجر البندقية) عليه أن يختار واحدًا من
ثلاثة صناديق . الصندوق الأول من الذهب .. الثانى
من الفضة . الثالث من الرصاص . وفى أحد
الصناديق تنتظر صورة الحسناء .. »

بالطبع يقع كل خطاب (بورشيا) فى خطأ أحق .
إذ يفترض كل منهم أن صورة حسناء كهذه لا بد أن
توجد فى صندوق من ذهب أو فضة .. فقط بطر
المسرحية هو الذى يفتن للمغزى الأخلاقى للموقف .
ويختار الصندوق المصنوع من رصاص .. وبالطبع
كان هو للصندوق المطلوب ..

« أتذكر أيضًا .. »

فى غيظ قالت (هيام) :

- « وحياة والدك لسنا الآن فى ندوة ثقافية .. »
كنمت خواطرى وصمت .. وكنت أوشك أن أحكى
قصة (ستوكتون) الشهيرة عن الباب الذى تنتظر
أميرة جميلة خلفه ، والباب الذى ينتظر نمر شرس
خلفه . وعلى الأسير أن يختار أحد البابين ..
المشكلة هى أن (ستوكتون) لم ينه القصة قط .. بل
أعلن أنه عاجز تمامًا عن إنهاؤها ، لهذا يفضل
الانسحاب ، تاركًا الأمر لخيال القارئ !

قال الأستاذ (محمود) وهو يعيد حشو غليونيه :
- « بل الموقف يحمل روائع من منات القصص فى
التاريخ ، ومنها قصة ذى اللحية الزرقاء الذى أهدى
زوجته قصرًا به مائة غرفة ، لكنه أمرها ألا تفتح
الغرفة المائة . النتيجة هى أن الزوجة صارت حياتها
جحيمًا ، ما الذى يوجد فى الغرفة المائة ؟ ! »

- « إن قيمة الباب المغلق عتيقة راسخة فى
وجدان الإنسان ، ربما منذ اختراع الباب . وها نحن
أولاء نواجه الموقف ذاته بوضوح وفجاجة لم يسبق
لهما مثيل .. »

ونظرت إلى العيون من حولي ، وابتلعت ريقى ،
وقلت .. «

- « السؤال هنا هو - ما الذى نتوقعه لو فتحنا
الباب الخطأ ؟ »

سأل الأستاذ (محمود) الزوجة فى رفق :

- « هل زوجك يفهم شئ فى المفترقات ؟ »

ابتسمت ابتسامة مريضة براوية فمها ، وغمغمت :

- « هل تمزح ؟ بالطبع لا »

- « وهل هو بارع فى الأعمال المنزلية ؟ »

- « ندر ! لكن وضعه الاجتماعى واشغاله لم يعودا

يسمحان به بإسلاح صنوبر المطبخ ، أو تركيب كشكف

من (نبون) بونى هذا ما تعنيه . على كل حال فما

لا اتق فى قدرته على عمى شئء بالشكل الصحيح . »

قلت فى نهضة ذا مغزى :

- « هذا هو بانصبط ما جعله يضعك فى قائمة

الانقسام هذه يبدو انه تحول بالنسبة لك إلى آلة

لجمع المال لا أكثر .. »

رشفيت رشفة من قدح الشاي الذى تمسكه بكفيها

مذا ، وقلت

- « الحق ما تقول - أحيثا كنت أتمنى ألا يعود

إلى الدار - فهذا يضيع بعض وقت جمع المال

ربما كان من الأفضل أن يرسل ما يتسببه إلى الدار

بحوالة ! »

ابتسمت .. فلم أتوقع هذه الصراحة منها

وكانت هذه - مع إتهام (هيم) - هى النواذر

الأولى لما سيكرر كثيرا فى هذه الليلة السوداء :

انتزاع أقمعة الحضارة واحدا تلو الآخر . الظهور

دون أى قناع اجتماعى من أى نوع

حقا هى تجربة فريدة .

من جديد تصاعل الأستاذ الكبير :

- « ما الذى نتوقعه لو فتحنا الباب الخطأ ؟ »

- « لن نعرف أبدا - لكن الحلول المسهلة مثل نمر

حبيب ، أو بعوض يحمل الحمى الصفراء ، أو قنبلة

تضريح بئرا ، كلها تبدو خيالية جدا وسعيدة جدا »

- « إذن هو يمزح »

- « مستحيل !! »

من جديد قالتها الزوجة في ثقة ، وكررت مسلمتها الشهيرة .

- « زوجي لا يمزح أبداً . »

قلت أنا وأنا أضع قدح الشاي :

- « ليكن .. علينا الآن أن نختار ما بين البقاء هاهنا ، أو تجربة أحد هذه الأبواب . والسؤال هو أي باب ١٩ »

تبادلنا النظرات . حقاً لم يكن هناك من يملك الإجابة . باب مكتب .. باب غرفة السينما (وهو موح بشيء ما) . وباب غرفة المعيشة الصغيرة كلها أبواب كآية أبواب أخرى ، ولا يميزها شيء وفي ثقب مفتاح كل باب منها استقر مفتاح بريد المظهر فاخر إلى حد مستفز . كأنما بدعونا بصمت إلى الدخول ..

ساد الصمت برهة (والبرهة كما يقول النفويون فترة طويلة من الوقت ، لا كما هو شائع .. الهنيهة هي ما يعبر عن الفترات القصيرة) .. ثم تكلم الأستاذ الصحفي في تودة ، وكان ما قاله معقولاً :

- « لن نفعل أي شيء .. سننتظر .. وحتماً سيبحث أحدهم عنا .. سيجي واحد من مكان ما .. بالعب . محصل كهرباء .. ضيف . ولسوف يقرع الجرس عندها . . »

صاحت (هيام) :

- « لكن هذا يحتاج إلى وقت . على الأقل لن يحدث قبل شروق الشمس .. »

- « وما هي المشكلة ؟ نحن هنا مستمرون في حفلنا البهيج نتبادل مناقشات ممتعة .. البيت مليء بالطعام والشراب .. حتى الطرب موجود هاهنا .. » وأشار في محاكاة إلى المطرب ، فابتسم هذا في عصبية

قلت وأنا أخلع سترتي :

- « لا بأس . يبدو لي هذا حلاً مناسباً بالنسبة لأشخاص لا يسأل عنهم أحد ، ولا يهم أين يبيتون هذه الليلة .. »

وبدأت الجلسة الثانية لنا ..

حقاً لم يكن المرح ثامناً في هذه المرة .

كانت هناك دعايات لكنها محسوقة خجول ، وحاول
المضطرب ان يندس شيد ما لكن مزاجه كان متعكرا
بحق هؤلاء المضطربون الجدد لا يمكن لشيء ان
يمنعهم من العناء سوى التقبلة الهيدروجينية ، ومعنى
صمته هو ان ما نمر به هو بحق كارثة ..

في النهاية هبطت موجة التمرح كما ارتفعت ، ولم
يبق من البحر سوى سطح راكد قلق صموت ..

وبمرور الوقت تحررنا من وقارنا أو نسبنا
نزعت (هيم) حذاتها ، ووضعت ساقا تحتها وهي
جائسة ، وفك الاستاذ الصحفي ربطه عنقه ، على
حين نسي المضطرب التعبير الولهان الأسبان على
وجهه ، وبدا أكثر مرح وأقل رقة ، حتى توقعت ان
تنزع مدام (سهد) جملتها الصفراء الثقيلة كي تريح
رأسها قليلا ، أو يمد المحرج العجوز يده في فمه
ليخرج طاقم أسنانه وينقيه في كوب الماء أمامي ..

كانت مدام (سهد) أكثرنا راحة طبعًا ، فهذا بيتها .
لهذا نهضت مرارا ، وغسنت وجهها ، وعادت لنا
أكثر من مرة حاملة سيفا يوكل أو يشرب .. ثم
تجرات أكثر فأعلنت :

- « من يرد استعمال الحمام يمكنه هذا »
وكانت هذه هي جملة الخلاص لنا لحسن الحظ
ان زوجها المخبول لم يضم باب الحمام إلى القائمة
من تموت باحتباس بولي على الأقر

بدأت (هيام) تغفو بعد كل الطقة الهستيرية التي
بذلتها ، فأ راحت رأسها على كتف الشاعرة ، وغابت
عن الوجود ، وهنا نهضت (ناهد) فجلبت غطاء
صغيرا من (التريكو) فرشته على ركبتيها وعادت
للجلوس ..

قمت وأنا أتأمل الأبواب في شروود
- « الرعب خلف باب مغلق . لقد جربت هذه
القصة مرارا . وكانت آخر مرة في (روماتيا) في
كهف مظلم . كان الباب يقود لعالم شيطاني يسمونه
(جانب النجوم) منه يجرى مصاصو الدماء إلى
عالمنا ! »

- « هراء ! »
قالت الشاعرة في اشمزاز ، وأشعلت لعافه تبغ
أخرى ..

لم أعلق لأن الجدل مع هذه السيدة مضيعة للوقت .
أحياناً يكون من الذكاء ابتلاع الإهانات خاصة ان
لم ينتج هذا عن ضعف ..

قال الكاتب الصحفي :

- « م من احد مب الا وكانت له تجربة رهيبة مع
باب مغلق الباب الفصل بين عالمين . بين الجهل
والمعرفة بين الرعب والتوجس بين الانتظار
ونهاية الانتظار .. »

نظرت إلى الجالسين ، وقلت :

- « هذه فترة لا بأس بها لتمضية الوقت . لم
لا يحكى كل منا قصته مع الباب المغلق ؟ »
.. « ربما لا توجد قصة .. »

- « اشك في هذا من يدري ؟ إن عدم وجود
قصة هو قصة مسئلية في حد ذاتها . »

تساءل المطرب الصاعد ، وهو يضع عوده جانباً ،
كأنه (معبد) وقد فرغ من تعليم المقامات لـ (دنانير)
- « ما جدوى هذا ؟ »

قلت وأنا انزع حدائي لأتربع على الأريكة :

- « جدواه الا يتسرع بمرور الوقت أولاً . جدواه

ان تزداد حكمة ويتسع خيالنا .. جدواه لى ان اعرف
أكثر ظننت هذا السؤال لا يجىء من فنان ، وقد
امتلا العنم بمن يشكون في جدوى الفن اصلاً . »

ونكنى في سرى ثم أجرو على اعتبار هذا الفتى
فناناً . الفن كما أفهمه شيء أكثر رقب وشفافية
ونوراتية الفن هو ما يصنعه (رينوار) و (فان
جوخ) و (صلاح طاهر) و (مونسارت) و (عبد الوهاب)
و (نورانس أوليفيه) و (محمود مرسى) .

نقطة ثالثة لا تخلو من الحذقة . (الفنان) هو
الحمار الوحشى في اللغة العربية ، أما ما نغنيه هنا
فهو (المغن) وهو نموذج آخر للخطأ الشائع حين
يصير هو الصواب الوحيد .. ويحتاج الأمر إلى
شجاعة غير عادية كي تكافحه ..

قال المخرج العجوز :

- « ليكن إن الفكرة تروق لى ، وربما ألهمتنى
بعض أفكار جديدة ! »

(ادعو الله ألا يحدث هذا ، وإلا كانت سهرة مملة
حقاً) قتها في سرى ، ثم طُبت أن يبدأ السرد من
سيبدأ .

- « ومن يبدأ ؟ »

فر تواضع قال المخرج وبهجة من ينتظر تزلفاً
مماثلاً :

- « لو كان بالأكبر سناً فهو أنا . ولو كان بالأكبر

مقاماً فهو الأستاذ (محمود عوني) ! »

قلت دون أن أوجه له أية مجاملة :

- « إذن يمكنك البدء يا (سمير) !! »

★ ★ ★

وهكذا دارت حلقة الرعب الراحعة

تري كيف دارت ؟!

★ ★ ★

الباب الاول

« موعد مع الأستاذ »

يفتحه : « سمير الصياد »

« هذه القصة لن تنتهي إلا بنهاية من الثنتين .

إما ان الأستاذ يستعين بالسحر ، او ما هو

أسوأ كي يصل إلى إلهامه ، وإما انك ستظن هذا

ثم يتضح انك مخطئ ! »

راح (سمير الصبد) ينهت ، ويشهق وقد سئل
عيبه . ممعنا في التهافت كعادته وكتماناً يقتد
(عبد الحليم حافظ) في أفلامه القديمة ، حين كان
يصارح محبوبته بأنه مريض بمرض مميت
قال وهو ينظر للسقف :

- « قصنى مع الباب المغلق » يا لها من قصة !

بيت الأستاذ (عزت عبد الحميد) ..

كنت واقفاً هناك امسح حذائى ، فى مؤخرة سدائى
سروالى ، وترتجف بدى فى عصبية على العود ،
وبصعوبة أتمالك أعصابى ..

لم تكن هذه هى المرة الاولى التى أجىء فيها إلى
هذه (الفيلا) الفاخرة فى حى (الزمالك) لقد
جئت ههنا مراراً اشتريت أكثر من رغيف (طرب)
من الكبابجى الذى يقع محله فى بداية الشارع ،
وأمشى حالماً حتى (فيلا) الأستاذ لأقف فى الظلام
وسط غطاء أوراق الشجر التهم (الطرب) وأشعر
به ينفذ إلى روحى مباشرة .. فأحلم

امضى ساعة أو بعض ساعة فى المكن ذاته ، ثم
ارحل مدندنا بالاحلام ، وقد اكتسب كنفاً قميصى
بفضلات الطيور التى تغفو بكثافة فوق الأشجار ..
(طرب) و (طيور) و (موسيقا) يا له من
مزيج جميل ! لقد قضيت معه أعواماً ، وفى روحى
امتزج مذاق (الطرب) بأعذب الأحن
تكن هذه هى المرة الأولى التى أجىء فيها لبيت
الأستاذ (مدعوا) ..

كانت بدايتى هى بداية أى مطرب شاب نشأت
فى قرية قرب (الدلتا) بالبحيرة ، ومنذ طفولتى
قيل لى إن صوتى يمتاز بشيء ما ..
وفى العشرين من عمري بدا أنى لن أصنع شيئاً
إلا أن أكون مطرباً ، ونزحت إلى (القاهرة) لادرس
الموسيقا ، وأقيم فى فندق رخيص من فنادق القباقيب
إياها ..

اشتركت فى عدة حفلات ، ووقعت فى أكثر من
قصة حب كنت أنهيتها دوماً - حين أمها - بأن
أصارح المحبوبة بأننى مريض بالسرطان ، واغنى
لها فى شجن :

- « كنت أتعنى بطول العمر ، وأعيش لياليه »

ثم أنصرف دافعا وهي دامعة ، لأشترى شطيرتى
قول من (مسعد) ، وألتهمهما فى العشاء ، ثم أنام
قريب العين ، أفكر فى حب جديد !
رباه ! لقد كانت أياما جميلة ..

على أن أكثر من قاتل صارحنى بأتنى أضيق شبابى
بحق صوت جميل كصوتى يستحق أن أكرمه بلحن
جميل أو أجمر .. لم يكن لدى ملحن سوى واحد من
منى يدعى (عباس) ، ولم يكن واعدًا جدًا ..
ونصحونى بأن أحاول الاتصال بالأسستاذ (عزت
عبد الحميد) . فهو يجيد تلميع المواهب الجديدة
وصقلها ثم إنه متهاود فى أسعاره مع الشباب
ولطيف المعشر كما قالوا ..

حصلت على رقم الهاتف مذهولاً مبهور الأنفاس ،
وحاولت مرارا أن أحصل على موعد ، لكنه كان
يصفى لى ببرود ، ثم يقول عبارته الشهيرة : (ربنا
يسهل) أو يعتذر فى تهذيب أو غلظة ..
ذات مرة طلب منى أن أنشد فى الهاتف مقطعاً من
أحد الموشحات ، ولم أكن مستعداً له .. بعد ما أصفى

إلى غمغم شين عن عدم حاجته لأكل البيضة كلها كى
يعرف أنها فاسدة ..

لكنى لم أياس ، ولم ألقط ..
وفى النهاية وافق على مقابلتى فى تمام العاشرة
مساءً فلك اليوم السعيد ..

نزلت من سيارة الأجرة - وكنت فى حاجة لذلك ،
لأن العود معى - ملهوف متلاحق الأنفاس ، ورحت أرمق
القبلا ، الجاثمة فى الظلام كأنها المجد ينتظرنى
دنوت من البوابة الحديدية فقرعت جرساً ، ونظرت
إلى ساعتى . إنها العاشرة وخمس دقائق ثباتاً
شعرت فى لهفتى أن هذه الدقائق الخمس قد تكون
السبب فى انهيار مستقبلى الفنى

جاء بواب لا يرتدى الجلباب ففتح لى الحديدية ،
وكانت هناك كلبته تحاول التوثب لتمزيق أحشائى ،
لكنه منعها فى رفق ، واسمها كاية كلبة تحترم نفسها
هو (توسكا) . لا بد أن هناك قانوناً يمنع تسمية
بئات الكلاب باسم آخر ..

اجتزت المدخل الذي تم رصفه بقرميد صغير
ملون ، وتناثرت على جانبيه مصابيح سوداء أنيقة ،
كمصابيح الشوارع لكنها أجمل بالطبع

شعرت بضالة حقيقية ترى كم أغنية ناجحة يجب
أن أقدم قبل أن أمتلك ثمن ثلاثة عواميد من هذه ؟

هنا رايت من يمشى بين النباتات خارج المنزل ،
ودنوت منه فعرفته على الفور . إنه الأستاذ بشحمة
ولحمه كما اعتدنا أن نراه في كل وسائل الإعلام ..
أنتم تعرفون منظره المهيّب دون شك . الشعر الأبيض
الناعم المنساب كخيوط الفضة .. النظرة (النوردية)
الأرستقراطية من وراء العوينات .. الشامة الزرقاء
فوق حاجبه الأيمن ربطة العنق التي يرتديها بكامل
أناقها تحت روب قصير براق ..

فما إن راسي حتى وقف ويدها في جيبي الروب ،
وغغمم بانبهار :

- « (سمير) (سمير القرموطي) . أليس
كذلك ؟ »

احتبس الكلام في حلقي ، فأشرت لصديقي في
بلاهة أنه أنا ..

قال في وقار ، وهو لا يكف عن تأمل وجهي
بفضول :

- « هذا ليس اسماً قنياً (سمير الصياد)
هذا هو اسمك الجديد لم نبتعد عن البحر والقراميط
كثيراً ! »

وطوح برأسه للوراء وانفجر في قهقهة معدنية
مجلجلة كما يظهرون بشوات ما قبل الثورة في
السينما . وقبلت أنا في كثير من التواضع والحياء
عملية تبديل اسمي التي لا دخل لي فيها ..

ولحقت به إلى داخل الفيلا ، بينما هو يتكلم في
هزلة :

- « كنت أعنى بزهوري أنت لا تتصور حساسية
البنفسج لهذا الجو الذي نمر به . ثم إنني كتبت لك
لحناً لا بأس به ، وكنت أعتزم أن أضع عليه لمساتي
الأخيرة في ظلام الحديقة .. »

ثم - دون تحفظ - راح يندن بصوت عال :

- « راتاتاراراراتين .. راتاتاراراتين . »
وصمت قليلاً .. ثم قال :

- « أنا لو أتساكى حافتك ميين ؟ من بعد هواكى
حياتى اتين هذه هي الكلمات التى تصنع لهذا
الوزن ساقترح عليك اسم شاعر مناسب من
يجيدون تركيب الكلمات على الإحسان لا العكس ..
وهو سأكمل لك القصيدة إلى آخرها »
وكان هذا هو ميلاد أغيتى الجديدة ، التى اشتهرت
بها لأول مرة فى حياتى ..

كيف كان حالى فى هذه اللحظات ، ومع هذه المودة
الرائدة ! طبع يمكنى ان أوفر هذا العناء على نفسى ..
كنت ذاهلا فاقد السطق تقريبا لقد اختارنى الحظ
فجأة كى يقدم لى كل شيء ، ولا اعرف التفسير ..

كانت غرفته كما تخيلتها بالصبط بلا زيادة
ولا نقصان ..

يوجد أكثر من عود مزدان بالفج على الحوائط ،
مع صورة عملاقة له وهو يتسم فى غموض صورة
لم احسب قط ان حجمها ممكن كما ان هناك حوالى
خمسة اجهزة تسجيل من ماركات مختلفة ، وبعض
نباتات الظل أمام نافذة عملاقة تحتر جدارا كاملا ،

ولا يظهر منها الآن سوى سواد الليل تنتشر فيه
أضواء الحقيقة ..

قال لى وهو يجلس واصفا ساقا على ساق :
- « مشكلتك أنك تقند (عبد الحليم حافظ) أكثر
من اللازم . وهذا لن يقودك لى مكان لأن الأصل
موجود وفعال . عليك ان تميز ولا تمتاز عليك
بالبحث عن طابع جديد .. »

وهنا بق جرس الهاتف ، فرفع السماعة وراح
يتكلم مع أحدهم فى عبارات سريعة مقتضبة لم أفهم
منها الكثير ..

اختلفت النظر إلى الحجرة من حولى كان
حجمها هائلا يذكرنى بدوار العمدة فى قريتى ، لكن
بابا ضخما كان ينتظرنى فى الركن ولا أدرى مسبب
ذلك ، لكنى لم أستطع ابعاد عيني عنه
انتهت المكالمة ، فوضع السماعة وشرود بذهنه
قليل ..

بعد هنيهة قال وهو يمتص إبهامه :
- « هذا (عادل شفيق) يريد تعديلا فى لحن
أغنيته الأخيرة .. »

بالبهار الأغنياء صحت :

- « الأستاذ (عادل شفيق) شخصيًا ؟ المطرب ؟

ابتسم في سخرية :

- « طبعًا يا بني لا حاجة لي إلى معرفة طبيب

اسمان بهذا الاسم أرجو أن تمهلني لحظة »

ونهض في تودة متجهًا إلى ركن القاعة ، حيث

كن الباب الخشبي الضخم الذي لم تفارقه عيناي

فتحه ، وللحظة رأيت ضوءًا أحمر غريبًا يخرج من

ورائه ، وفي اللحظة التالية كان الباب قد انطلق

وجلست وحدي ..

وضعت العمود الخاص بي على الأريكة ، ورحلت

أتأمل المكان لشئ ما تسميت رؤية عملية الخلق

لدى هذا الرجل العظيم يقول من يعرفون (محمد

عبد الوهاب) إنه لا يكف عن الزوام كالمقطط في سره ،

من فرط الانحن التي تحتشد في ذهنه .. ويقول من

عرفوا أمير الشعراء (أحمد شوقي) إنه دائم الشرود ،

وكثيرًا ما يخرج علبة التبغ ليدون عليها بخط صغير

بعض أبيات أماء وحيها فجأة ..

تري ما هو دور الوحي في حياة الأستاذ (عزت

عبد الحميد) ؟

إنه لمشهد مشير حقًا ...

جلست أنتظر . أصغت السمع والخيال إلى

ما وراء الباب المغلق ، وهنا خيل لي أنني أسمع

صوتًا غريبًا صوتًا أقرب إلى شهيق الغريق في

الطحظات المريرة التي يرتفع فيها لسطح الماء ،

فيحاول أن يعب الهواء عبًا ، فلا يجنى سوى ملء

رنتيه بالفقاع ..

هآآآآه ! هآآآآه ! هآآآآه !

وتكرر الصوت نحو عشر مرات .. ثم دوى صوت

شئ يسقط أرضًا ..

يوم !

قال (سمير الصياد) بصوته المبحوح :
هرعت إلى الباب فدفقته في أدب مرارا ، وقلت :
- « هل من شيء أفعله يا أستاذ ؟ هل أنت بخير ؟ »
مرت فترة أطول من اللازم ، ثم سمعت الباب ينفتح
ورأيتته يخرج ..

كان في أحسن حال .. بأدقته المعهودة وانتعاشه ،
لكن شيئا من التحفظ سرى إلى أسلوبه في الكلام ،
وقال لي :

- « لا داعي للقلق . فلا أجد ما يدعوك للسؤال . »
ثم دعاني إلى الجلوس ، ومذ يده إلى عود مزخرف
ملقى على إحدى الأرائك ، فراح يدندن عليه لحنًا لم
أعرفه ، وثني جذعه ليدون شيئا من نوتة موسيقية
على بعض الأوراق أمامه .

ثم حرك شفتيه في استمتاع كمن يتمظ :
- « هكذا .. لا بأس على الإطلاق .. »

قلت للفتى وأنا أفرد ساقي طلبا لإراحتهما :



اسمى اسمع صوتا غريبا صوتا الرب إلى شهيق
العريق .

« هذه القصة لن تنتهي الا بنهاية من اثنين .
اما ان الأستاذ العظيم يستعين بالسحر ، أو ما هو أسوأ
كى يصل إلى الهامه . واما أنك تظن هذا ثم يتضح
أنك مخطئ ! »

ابتسم المطرب الشاب كمن حوَّصر في ركن من
الحلبة ، وقال :

« هكذا لا تترك لى مجالاً لإكمال قصتي
يا د (رفعت) إن قصتي أعرب على كل حال »
هنا تدخل الأستاذ (محمود عوني) :

« لا يجب أن تكون كل القصص جديدة لا يمكن
التنبؤ بنهايتها يا د (رفعت) ، والا كان من الخير
لنا أن نظل صامتين .. »

قلت في شيء من خجل :

« معذرة لكني ان اشتهرت بشيء فبسرعة
المثل يخيّل الى أن كل ما يحدث ويقف من حولي ،
قد حدث وقيل من قبل ، لكن الناس جميعاً نسوا
ما عداي ! »

حق كان هذا هو الشعور الذي ضايقني طيلة
حياتي ..

في التسعينات كتبت الصحف عن حادث الزوجة
التي قتلت زوجها ، ووضعت أسلأء في الكياس
بلاستيكية أصيب الناس بالهلع ، وراحت الصحف
تكتب عن (الدموية التي تسربت إلى نفسية رجل
الشارع) وعن تغير النمط الجريمة في (مصر)
وعن .

ثم يصدقني أحد حين قلت إن هذه الجريمة حدثت
مراراً في الثمانينات والتسعينات والستينات ، وربما
كانت تحدث قبل اختراع الكياس البلاستيكية ، لكن
الجميع نسوا ببساطة ، وصرت أنا المخبول الوحيد ،
وغير هذا كثير ..

ولكن دعونا نصغ لقصة الفتى إلى نهايتها

قال (سمير الصياد) بصوته التولهان .

« توطدت صداقتي مع الأستاذ ، ورحت أتردد على
دوره ثلاث مرات أسبوعياً ، وأخيراً جاءت اللحظة التي
دخلت فيها (ستوديو) الصوت كي أسجل راقصتي الأولى
« أنا لو أنساكي حافكر مين » ، وبعد ذلك قدمت
راقصتي الثانية . « الحب أشي جاني غير الأولاس ! »

بدأت الشهرة تنمو ببطء ، واشتريت سيارة نصف
عمر ، ودعيت إلى بعض حفلات ، حيث كان عدد
لا بأس به راغباً في سماع (الحب اللى جاتى) .. وفى
الواقع كنت مديناً للأستاذ بكل شيء .. حقاً صدق من
قالوا : إنه هو الحل السحري للمبتدئين فى الغناء ..
بشرط أن تروى له أولاً !

وضع ألف خط تحت هذه العبارة .. لماذا اختارنى
الرجل بالذات بعد ما وصف صوتى بأنه (بيضة
فسدة) ؟ ولماذا احتفى بى كل هذه الحفاوة .. قد
يقول قائل . إنه غير وجهة نظره فى صوتى ، ولكن
متى أعاد سماعه ؟

دائماً ظلت علامة الاستفهام معلقة . بلا جواب ..

علامة الاستفهام الثابتة كانت تحيط بالباب
المغلق ..

ما الذى يفعله الرجل خلف هذا الباب المغلق ؟ فى
كل مرة يبحث فيها عن إلهام جديد كان يعتذر ، ثم
ينسحب إلى هناك ، وتمر دقائق بعدها يعود إلى
الجواب والجواب دائماً جميل متقن

هنا تدخلت - أنا (رفعت إسماعيل) - فى الموضوع ،
وسألته :

- « هل أنت واثق من أن ما خلف الباب المغلق
ليس دورة مياه ؟ كثيراً ما يجىء الإلهام فى الحمام
للعظماء ! »

التهكم (سمير) كأنما كان يتوقع هذا ، وقال :
- « كل الثقة .. الناس لا تشبه فى الحمام
كالغرقى ، وتدخل فى إغماءة .. هذا هو الصوت الذى
أسمعه .. »

- « حقاً هذا غريب .. وبالطبع قمت أنت بفتح
الباب يوماً .. »

- « كيف عرفت ؟ »

- « أنا أعرف البشر .. لقد قتل الفضول القط كما
قال الإنجليز منذ دهور .. »
- « حقاً فتحت الباب .. »

وشردت عيناه إلى بعيد .. كان يتأمل المقبض
الذهبي الغليظ ..

لقد تركه الأستاذ ، ودخل الغرفة المغلقة ، ولبضع دقائق ظل جالساً وحده يتأمل الباب فى نهم .. المقبض الذهبى - المذهب للدقة اللغوية - الذى ينتظر بدا جريئة تفتحه ..

أخيراً سمعت صوت له (هاآآه ! هاآآه !) المميز .. بعده صوت الارتظام المدوى ، وكانت هذه هى اللحظة المناسبة ..

وثبت إلى الباب وفتحته ، وبحذر سكبت عيناي من الفرجة الضيقة التى أحدثتها ..

كانت غرفة ضيقة جداً كأنها القبر ، باردة إلى حد لا يمكن تصديقه ، جدرانها حمراء تماماً ، عليها زخارف غريبة غير منسقة ..

أما أغرب شيء فى الموضوع فهو أنها كانت خالية تماماً . لم يكن بها أحد ، ولم يكن الوقت كافياً كى أبحث عن مخاين فى أى مكان بها ..

تملكنى الهلع بحق ، وفى اللحظة التالية قف شعير رأسى ، لأنسى لمحت ما يشبه التجسد فى مركز الحجرة .. التجسد الذى يتخذ هيئة إنسان ملقى على وجهه على الأرض ..

أغلقت الباب وعدت لمكاتبى ، وأنا أنتفض كورقة ..

حقاً لم يكن الأستاذ بشرياً ..

لم يكن ينتمى لعالمنا ، ولا قواعداً المادية الصارمة .. لقد اختلفى بلا تفسير من غرفة مغلقة ، وهو لا يجيد ألعاب الحواة ، ولو كان يجيدها ، فلماذا يمارسها وهو وحيد ؟!

وانفتح الباب أخيراً ليدخل الأستاذ ، وفى هذه المرة لم أستطع حتى أن أتحمل لمسة ساقه لساقى ، وهو يحثك بها فى أثناء عودته لمجلسه ..

كنت أخشاه كشعبان ، ولكنى حرصت على ألا يرى هذا فى وجهى ، على أن أبادر بالفرار عند أول فرصة ، فلا أعود هاهنا أبداً ..

راح يدندن كعائته محاولاً تذكر إلهامه الأخير .. كتب ما قال فى وريقة صغيرة ، ثم سألتنى عن سر شرودى ، فابتكرت إجابة مرتجلة :

- « إنه الاكتئاب . الاكتئاب .. ربما الخوف من ألا أقدم شيئاً .. »

نظر في عيني طويلاً حتى كدت أصرخ ، ثم — دون
مقدمات — سألتني :

— « هل تؤمن بالجان ؟ »

سؤال غريب في لحظة غير مناسبة على الإطلاق ..
قلت له بعد ما بلغت رجلي :

— « الجان منكر في القرآن الكريم .. هذه إجابة
كافية على ما أظن .. »

عقد يديه على صدره ، واسترخى في مقعده ،
وقال :

— « لنضع السؤال بطريقة أخرى .. هل تؤمن
بقدره البشر على تسخير الجان ؟ »

— « لا أرى يا سيدي .. لا أرى .. »

ما الذي يدعى إليه ولأية ورطة يقودني ؟

قال وهو ينظر إلى السقف :

— « قديماً كان العرب يعتقدون أن الشعراء يأتيهم الإلهام
من جان وادي (عبقري) .. فما بعد كثر التعبير عن
الإلهام بـ (جنية الموسيقى) و (شيطان الشعر) و ... و ...
هل تعتقد أن كل هذا خل من الصواب ؟ »

قفأ شعر رأسي إذ فكرت في معنى هذه المحادثة
لقد صار الموضوع واضحاً إذن .

نهض وراح يذرع الغرفة جينة وإياباً وبداه في
جيبى روبيه ، وقال كأنما يكلم نفسه :

— « هذه هي الطريقة .. هكذا يتحول موسيقار
نصف موهوب مثلي إلى عبقري ، ببساطة حين يتعلم
الطريقة المثلى ، وحين يقبل أن يحمله الجان إلى
مملكتهم الجهنمية .. إن الأمر غريب لا يصدق ، لو
رأيت له حسبه نوبة صرعية .. أما بالنسبة لموضوع
التجربة ، فالأمر شبهه بالموت . باتت راع الحياة من
حلقومه .. »

واهتم اهتماماً خبيثاً ، والتفت لي :

— « هل تحسبني أحمق ؟ لماذا لم أغلق الباب على
نفسي ؟ لماذا تركتك تتسلل كما يتسلل القط إلى
المطبخ ، ليسرق فخذ الدجاجة ؟ لأنك مثلي تحمل
العلامة .. يقولون إن هناك علامة . وهذه العلامة
ترشح المختارين للاتصال .. أنا رأيتها حين قابلتك في
حديقة الفيللا ، وكنت أرمع طرفك بشيء من الرفق ..
عندها تغير مملكتي تماماً ، كما لا بد أنك لاحظت ؛ لأنني

عرفتك على الفور . العلامة ! لا شيء يميزنا سوى
هذه العلامة ! »

وأشرف إلى الشامة الزرقاء فوق حاجبيه الأيمن .
عندها سقط قلبى فى قدمى ، وتحول عمودى
الفقرى إلى عمود من الجليد ..

أما أملك شامة معاشة . هذا هو السر إذن .

قال فى شيء من الشراسة :
« والآن لا توجد أنصاف حلول : أنت معنا
أم ضدنا ؟ اختر ! »
« لا إله ! »

قنتها وأنا ألب كالزنبيرك من مقعدى ، ونظرت
لوجهه فوجدت أنه قد تبدل إلى حد مروع . لم أراه
من قبل بهذه الشراسة والتوجس ..

وفى ثوان كنت قد اندفعت إلى الباب ، إلى الحديقة ،
إلى باب الفيللا الحديدى ، ورحت أضربه وأهزه فى
جنون . بينما الكلب ينبع ، والبواب يحاول إقناعى
بالانتظار حتى يفتح لى بالطريقة العادية المحترمة .
بعد لحظات كنت قد ابتعدت كثيرا جدا عن المكان
والزمان والحدث ..

ومن يومها لم تلمس قدمى شوارع الزمانيك ..
صحيح أنى لم أكف عن الغناء ، وكانت لأغنيته
لمسة لا بأس بها فى حياتى الفنية . لكنى - وهذا
مفهوم - لم أكن على استعداد قط لرؤية وجهه من
جديد ..

كثيرون تساءلوا عن سبب انقطاع صداقتنا ،
واقنعوا أنفسهم بأن الرجل قد انتظر منى أشياء ،
وتوسم فى صوتى أشياء ، لم احقق منها شيئا .
وبالتالى قرر أن يتخلص منى ..

لكنى لم أتكلم . فقط رحمت أحاول أن أجدر جراحا
بارغا يزيل تلك الشامة فوق حاجبى . لكن الأطباء
نصحونى بالأفعل . إن الجراحة قد تترك أثرا لا يفضل
الشامة فى شيء ..

وحكى قصة لأحد المطربين ، فأغرق فى الضحك ،
وقال :

« هل مجع فى حداك ؟ إن الاستاذ يداعب ضيوفه
مداعبات عملية قاسية ليست هذه أسوأها . واعتقد
أنه مل صداقتك ، فقرر أن ينهيها بفصل تمثلى جيد
يحكيه لضيوفه فى سهرة ضاحكة . »

- « والاختفاء ؟ »

- « إنه ثرى ويمك القدرة على بناء أكثر من جب
سحري فى تلك الغرفة . هذه الأعيب حواة .. »

لكنى لم أفسر قط ، ولم أجد تفسيراً .

لو صدقنا كل هذا فكيف حدث التجسد البطيء ؟
كيف تغيرت ملامحه بهذه السرعة ، كأنما أعظم
ممثلى للكون ؟

شئ فى روجى يخبرنى أنه كان صادقاً ، وأن
ما حدث حدث فعلاً ..

نقد كن الهول ينتظرنى خلف الباب المغلق ..
وما زال ينتظرنى فى منامى كل ليلة !



الباب الثالث

« مع الحطمة ! »

تفتحه : « نادية فهم ،

« كنت أراه يزحف فى بطنه ، خارجاً من البحر ،
يجر جسده بصعوبة .. لكن بإصرار ، عازماً على
أن يقضى ليلته تحت سقفى ، لا يفصلنى عنه
سوى باب يملك هو وحده مفتاحه ! »

سعاد الصمت إلا من انفسنا ، وقد راح كل منا
يتصور القصة في خياله بمواقف تصوير وممثلين
مختلفين لا يجمع بينهم الا (سمير الصياد) ..
تساءلت مدام (ناهد) في حيرة محاولة التذكر :
- « هل (عزت عبد الحميد) له شامة فووة
حاجبه ؟ »

قال (سمير) وهو يتعجب :

.. « له لكر لكي تلاحظيها لا بد من أن تكوني
المعجبة رقم واحد به مثلي أو مثلما كنت . »
قلت وأنا أتأمل الوجوه :

- « لا بأس في القصة الأولى كان الباب هو
الممر إلى وادي (عبقر) ، أو ربما دعبة سمجة من
ملحن ثرى قاس من يحكى القصة الثانية ؟ »

كانت (ناهد فهم) شاعرتنا الـ (فيمينست)
ترمقنا في شروود ، وهي تريح أصابعها المصبوغة
التي تحمل لغافة التبغ على ذقنها .. فلما رأنتى أنظر
لها قالت في ضيق :

- « أنا لا أملك قصصا مماثلة ، ولا أنوى لعب دور
(شهرزاد) .. »

- « لكنك لا تستطيعين لعب دور (محمد علي
كلای) .. إن (شهرزاد) كانت قوية بطريقتها ،
واستطاعت خداع عتل صفيق مثل (شهریار)
بقصصها الممتعة . هذا لم يتضمن أية تنازلات من
أى نوع »

وألحت عليها (ناهد) في رقة مصطنعة

- « أرجوك يا (نافي) ان تحاولي ! »

(نافي) ؟ يا له من اسم غريب للتدليل . (نادية
فهم) قد تحولت إلى (نافي) ، فمن تنتهي الأمسية
قبل أن أتحوّل إلى جثة أو إلى (رفراف) دون شك ،
وكلاهما أسوأ من الآخر .

حولت (نادية) شفيتها إلى دائرة لتخرج حلقة
دخان كاملة الاستدارة ، لا يستطيع أعشى المدخنين
الرجال أن يصنعها ، وقالت :

- « حسن . لدى قصة عن باب . ولا يهمنى
ألا تروق لكم ، لأننى لا أستمع ثقتى من الآخرين . أنا
كائن متكامل و (Self-managed) أو هذا هو ما كافحت
من أجله طيلة حياتى .. »

« أصفوا إلى إذن .. »

سعلت الشاعرة الغضبي (نادية فهم) مرتين ، ثم
قالت :

« متفردة أنا . متوحدة . متتائية عن كل
القطيع . لكم حاولت أن ألحق بموكب السارين ليلاً ،
لكن خطي لم تكن كخطاهم ، وقامتى لم تكن كقاماتهم ،
وأحلامي لم تكن كأحلامهم .. »

لذا تفردت ، وتمثلت مقولة (راتيو) الشاعر
الفرنسي . أنا آخر . Te Suis un autre .. »

تحننت ، وبحذر قلت لها :

« أ .. معذرة . إننا في ظروف أسود من قلب
الكافر ، وكنا سنقدر لو تكلمت بشيء من التبسيط .
حتى الشاعر يمكن أن يقول كلاماً عادياً أحياناً !
مطت شفيتها في اشمزات ، وقالت :

« أ رأيت ؟ أنت كذلك واحد من السارين ليلاً . لهذا
أشمخ برأسي في علياني - حيث يحلم الطحلب الزغبى -
وأزدرىكم يا سادة . صادقة أقولها .. حارة أقولها ..
لا هبة أقولها ! »

« بحياتي أبواب عشرة .. »

وحكنا عن جيش البربر ..

والباب الموصد في قبي ..

يتحدى فرسان الغزى ..

من منكم يدنو ؟

أو يجسر ؟ »

ربما تعلمون أنني تزوجت مرتين ، وكان الطلاق
هو النهاية في كل مرة .. إن الرجال لا يحتملون
المرأة التي تطالب ألا تعامل كامرأة ..

هناك يا صغيرتي ما سيحدث :

سيجلس معك ، ويعلمك عن (سارتر) وعن الوجودية ،
ويتلو أبياتاً من شعر (لوركا) ، ويقول لك كلاماً
كثيراً عن انبهاره بعقلك ، وأنه - للمرة الأولى - يلقي
المرأة التي تبدو كامرأة ، وتفكر كرجل ..

سيقول إن حياتك معه لن تختلف عن سلسلة من
الأعياد الفكرية والمهرجانات العقلانية .. لقد حان
الوقت لفهم ذلك الكائن المدعو (حواء) حق الفهم ..
سيقول هذا وأكثر يا فتاة ، ولمسوف تصدقين ..

كيف لا تصديق هذه الكلمات من رجل رزين أتيق في منتصف العمر ، عرك الحياة وعركته ؟

ولن يمر وقت طويل حتى تجلسي جواره في (الكوشة) - إلى يمينه على وجه الدقة - وأنت تعلمين كمراقة صغيرة ..

بعد أشهر - لو حالفك الحظ - ستدركين الحقيقة إن الجمال عند الرجل أهم من أي عقل . طبق القول بالزيت على مائدة الإفطار أهم من كل كتابات (ميمون دي بوفوار) .. مباراة الأهلئ والزمالك أهم من ندوة شعرية يتكلم فيها (أبو العلاء المعري) شخصياً لو أمكن هذا ..

تدريجياً تدركين أبعاد الخدعة ، وتدركين أن الدور المختار لك هو دور الزوجة لا أكثر ولا أقل .. ستثورين يا فتاة .. لكنك ستلتقين كلمات قاسية جداً ، ربما بعض الصفعات كذلك لو كان زوجك شرساً مثل زوجي الثاني ..

ستكون معاناة طويلة ، حتى يتم الطلاق ، بعدها تقررين ألا تكرري الخطأ ذاته .. لكن سرعان ما يظهر رجل رزين أتيق في منتصف العمر ، يحدثك عن (سارتر) ويتو عليك شعر (لوركا) ..

عندها تقولين لنفسك : لعل الأمر مختلف هذه المرة ؟

تم زواجي الثاني في بداية الشتاء .

بعدها رحلت مع زوجي (هشام) - وهو صحفي كما تعلمون - إلى شاليه في (بلطيم) يملكه أحد أصدقائه . وكانت (بلطيم) في هذا الوقت شبه خالية من الشاليهات والمصطافين كذلك ، لأننا كنا في الشتاء ، وحتى في فصل الصيف كانت الإسكندرية - خاصة (العجمي) - هي المصيف المرموق الذي يحلم به الجميع ..

كان الشاليه يتكون من أربع غرف . اثنتان منهما موصدتان بالمفتاح ، وقد تركت لنا غرفتان هما كافيتان تماماً ..

وضعتنا حقائبنا .. وقررنا الخروج للنزهة على الشاطئ .. بالطبع ارتدى كل منا ثياباً شتوية ثقيلة ، فالطقس لم يكن يسمح بالمزاح . وكانت الأمواج ثائرة كأنما ضاقت بالبحر المتوسط ، وودت لو فتحت لها أحدهم الباب إلى المحيط ..

مشينا بضع دقائق ، وفي نفس كل منا شك
لا يعترف به : هذه العطلة لن تكون ناجحة جداً ..
صحيح أننا متفردان .. تتألمنا عن القطيع .. لكن كل
هذا الفراغ الكثير لم يكن ليناسبنا حقاً ..

لقد أنهينا أكثر ما لدينا من كلمات وملاحظات
ودعابات ، ونحن نمشي متشابهين اليدين بمحاذاة
الشاطئ .. خمس دقائق لا أكثر .. والمفترض أن
لدينا أسبوعاً كاملاً ، فماذا نعمل فيه ؟

السماء مكفهرة تنثر بالويل ، والبرد قارس ،
وهدير الأمواج يقتل كلماتك ما إن تغادر فاك ..

قلت له بعد ما حاولت إشعال لفافة تبغ ست مرات :
- « لنعد إلى الشاليه .. »

رفع كفه بمحاذاة حاجبيه ، ونظر للأفق ، ثم قال :
- « ثمة إناس هناك .. »

- « إناس ؟ غريب ! حسبتي المجنونة الوحيدة
هنا .. »

وبالفعل لرداد المشهد وضوحاً إذ دنونا أكثر ..
كان هناك عشرة من الرجال يقفون على الشاطئ ،
ورداً الموج يغمرهم من أن آخر فتحقق العيون ،

وتسفل الرنات ، تعقبها البصقات .. وكان واضحاً
من منظرهم أنهم يؤدون عملاً خطراً أو يناقشون أمراً
جللاً ..

دنونا أكثر ، ثم سمعت (هشام) يقول لي :
- « لا تنظري ! »

وكان هذا بمثابة أمر لي كي أنظر ، ونظرت .
على الرمال رأيت ما يشبه جسداً آدمياً في قميص
وسروال ، عاري القدمين مبتلاً تماماً غريق هذا
واضح .. غريق تأخر إنقاذه كثيراً جداً

كان منتفخاً ، برز لمساته وارتسمت أوردته
كالشجيرات على جلده .. بينما الرغاوى البيضاء
تسيل من شفتيه ، وحقاً لم أر غريقاً من قبل ، ولم
أكن مربعة التأثر لكن المشهد أثار هلعى بحق .
ما زال يوسعي أن يرسمه بدقة على الورق لو
لودت ..

كنت أقاوم هذه النوتة الأنثوية في نفسي - دليل
عبودية قرون طويلة - لكنني لم أستطع أن أمنع
شهقة ، ثم أدت ظهري للمشهد ، وبدأت أتهاتف ..
من وراء ظهري سمعت (هشام) يتساءل :

- « كيف نزل البحر في طقس كهذا ؟ ! »

صوت خشن يقول :

- « لم ينزل يا أستاذ . لكنها جذبتة ! »

- « من هي ؟ »

- « الخطمة طبعاً .. ربنا وحفظنا .. »

صوت آخر يقول :

- « لابد أنه في البحر من أسبوع على الأقل .

حالته تقول ذلك »

الصوت الأول يقول :

- « لا تحاول وزوجتك المشى على الشاطئ ليلاً .

لا تؤاخذنى .. أنت غريب ، والغريب أعمى ولو كان

بصيراً ! هذا البائع لم يعرف هذا . أو عرفه ولم

يصدق ! »

رايت ما يشبه حسداً ادمياً في قميص وسروال . عارى
القدسين مسداً تماماً غريق هذا واضح

قالت الشاعرة الحائقة يوماً :

- « الأسد هذا المشهد يومنا تماماً .. كما تتوقعون ..
عدنا إلى الشاليه فتناولنا غذاءنا من الملعقات في
صمت .. لاحظت في اشمنزل أن (هشام) يملأ فمه
بالطعام كالخرتيت قبل أن يبتلعه .. كان يأكل برقة
العصافير حينما كان يخطب ودي ، وكان يقضم حبة
العنب على ست مرات .. وبدأت أشم رائحة التحول
إياها ..

صارحته بهذا ، فابتسم ولم يعلق ..
بعد الغذاء لاحظت أنه يسلك أسنانه بعود ثقاب ،
ولما فشل مزق قطعة خيط من كم منامته وراح يمررها
بين الأسنان وبعضها ، على سبيل الـ (Flare) المرتجل ..
صارحته بهذا ، فابتسم ولم يعلق ..

أحضر جهاز الـ (بيك أب) ، ووضعته على
المنضدة ، ثم انتقى أسطوانة لمطربة شابة اشتهرت
بأغانيها عديمة المعنى ، وكنت قد جئت بعدة ألبومات
لـ (فاجنر) و (جاتيس جوبلن) ..
صارحته بهذا ، فابتسم ولم يعلق ..

أبرت أسطوانة لـ (فاجنر) ، وجلست منتظرة أن

- ٢ -

دقنت (نادية) ما تبقي من لفافة تبغها في المطفأة
الزجاجية ، ومدت يدها إلى العلبة بحثاً عن أخرى ،
فقطقت بلساني معترضاً :

- « إن هناك وسائل أكثر رحمة للانتحار .. ليس
بهذه الكثافة .. »

والحقيقة هي أنها كانت شخصية غصابية كما خلق
العصاب ولو أن (فرويد) نهض من قبره وراها
لمات فرحاً من جديد !

أحجمت فسألتها :

- « كانت لي مغامرة ما مع الحطمة .. إنها نداهة
البحر التي تدعو الشباب للحاق بها ، فالغرق .. هل
هذه هي القصة هنا ؟ »

هزت رأسها في عصبية :

- « لا واضح أن حطمة (بلطيم) هذه كانت
من النوع الذي يخرج يده من تحت الماء ، ليقبض
على سيقان من يمشون على الشاطئ .. إن أساليب
الحطمت تختلف كما تعلم .. »

★ ★ ★

يبدأ في الحديث الرومانسي معي ، لا سيما لو كان
ذا طابع ثقافي . لكنه راح يحكى دعابات سمجة
عن الحموات الشرسات ، والزوجات المتسلطات ،
و . و . حاسسنا أن هذا يجعله أقرب لقلبي .
وينهى كل دعابة ب (هاع هاع هاع هاع ')
صارحته بهذا ، فابتسم ولم يعلق ..

جلس بمنامته ورفع قدما يريحها على المقعد ، ثم
راح يعبث في أصابع قدميه باستمتاع كما يحب الرجال
أن يفعلوا ..

صارحته بهذا ، فاتفجر في ..

قال لي إنه لم يتلق كل هذا التقدير من الانتقادات منذ
كان طفلا في الرابعة من عمره ، وإن أمه لم تبذل كل
هذا الجهد التربوي معه ، وإننى بالتأكيد إنسانة
متسلطة قررت أن تتحكم في كل التفاصيل ، في أول
نصف ساعة من حياتنا الزوجية ..

راق لي هذا . فالحرب هي أرضي التي أشعر فيها
براحة حقيقية ..

« من منكم يدنو .. أو يجسر ؟ »

بدأت معركتنا الأولى ، ولم تكن عنيفة جدا بطبيعة
الحال ، لكنها انتهت به صامتا كالأسماك ، وبى أشعل
لغافة تبغ في عصبية .

وفي المساء تشاجرنا ثانية مع صوت الأمواج
في الصباح لاحظت في ضيق أنه يريد أن يلتهم
الإفطار دون أن يفصل وجهه ، وهكذا تشاجرنا مرة
ثالثة

عند الظهيرة تشاجرنا بعنف ، لأنه يريد أن يخرج
للنزهة ، بينما أنا مصرة على أن نجلس ونستمع
لـ (فاجنر) ، والأدهى أنه دعا بخراب بيت (فاجنر)
وكل أحفاد (فاجنر) إلى يوم الدين

« من فضلك . أريدك أن تكون متحضرا ..
لا أسمع لك بسب (فاجنر) ! »

« هذا خير من أن أسبك أنت أيتها المتسلطة ! »
وغادر انشاليه غاضبا ، والحقيقة هي أننا أحرزنا
سبقا هائلا في عصر السرعة هذا . لقد حققنا خلال
أربع وعشرين ساعة من الجفاء والنفور ما يحققه
سوانا في عشر سنوات !

★ ★ ★

عند المساء جاعنى يتوزد ، طالبا الصفح ، لكنى
قررت أن أواصل المعركة للنهاية ، وأعلنت رأيى فى
أنه يحاول أن يفرض على سيطرته ، وهكذا تشاجرنا
للمرة الـ ... لا أنكر كم .. وغادر الشالبيه غاضبا
معنا أنه لن يمضى الليلة فيه ..

« وأين ستذهب إذن ؟ »

« هذه مشكلتى لا مشكلتك .. »

باله من نصر ! لقد نجحت فى استفزازة إلى حد
أن يهجر البيت من ثاتى يوم لزفافنا .. وهو نصر
لم يتحقق مع زوجى الأول إلا بعد سنة كاملة ..

وهكذا جلست وحدى ، وأشرت أسطوانة (فاجنر)
بأعلى صوت ممكن ، ثم رحت أقرأ أشعار (إليوت) ،
وأنا أقول لنفسى : حقا لم أخدع ، وكانت توقعاتى

صالبة بكل الرجال سواء .. ما إن تفمذى سيفك
لحظة حتى يحاولوا أن يحزوا رقبك بسيوفهم ..

كلهم يتظاهر بانشره ذاته ، وكلهم - فى الحقيقة -
الشىء ذاته ..

ألا تبأ لهم !

بحياتى أبواب عشرة ..

وحكايا عن جيش البربر ..

على أننى - عند منتصف الليل - بدأت أشعر بقلق
غريب ..

كان السكون تاما إلا من صوت البحر الشائر ،
أتخيل أمواجه السوداء العملاقة كجبال ، فارتجف هلعا
وأقشعر ..

إن خوفى ضعف .. والأدهى أننى كنت سأغدو أكثر
راحة لو كان الرجل بجاتى ، لكنى ضفطت على
أعصابى ، وواصلت القراءة ..

وفى الواحدة صباحا سمعت الصوت من وراء الباب
المغلق ..

كان هناك من يتحرك فى الحجرة الأولى .. سمعته
وقد انتهى صخب (فاجنر) .. الحجرة التى لا أملك
مفتاحها ..

دنوت من الباب ، وأصخت السمع ، ثم أنصفت
أننى .. وكان ما سمعته هو صوت إنسان يلهث ..

يلهث في تعب . يلهث في جشع للهواء . يلهث كما
يلهث الغرقى !

دنوت أكثر وطرقت الباب بسلامية سيابتي ، وفي
صوت كالهمن تساءلت :
- « من هنا ؟ »

لا رد ..

فكرت في أن أرفع طبقة صوتي أكثر ، ثم عدلت عن
هذا لا أريد ألا يجرء الرد . سيثير هذا رعبى ،
والأفزع أن يجرء الرد !

كأن صوت شيء خشبي يرتطم بالداخل أدبرت
دون عسر أنه مصراع النافذة الخشبي إذ تحرّكه
الرياح ..

أب من كان بالداخل ، فقد دخل من النافذة ،
والنافذة منخفضة في مستوى قامة الإنسان ، وتحتها
تبة صغيرة من الرمال ..

وأصخت السمع أكثر فأكثر ..

كدت أذناي تمتزجان بالحشب ، وأنا أحاول التركيز
لا جدال في أن هذا صوت لهاث ..

تمائكت أعصابي ، وأشعنت لفافة تبغ بيد مرتجفة
لا يجب أن تضعفى يا (نادية) لا يجب . أنت لست
فتاة واهنة هستيرية ..

اتجهت إلى الحقيبة في غرفتنا ، فالتفت سكيناً
هائلة الحجم ، وخرجت لأرفع صوت الموسيقى إلى
أعلى درجة ممكنة ..

الآن أغادر الشاليه .. يجب ألا أبقى فيه لحظة
أخرى ..

لماذا لا أبقى في غرفتي ؟ لأنها لا يمكن إغلاقها
فهي لا تغلق إلا بمفتاح ليس معي وليس لبابها
مزلاج من أي نوع ..

لماذا لا أبقى في الشاليه ؟ لأن الشخص -
أو الشيء - الموجود في الغرفة يملك مفتاح الغرفة !
كيف عرفت ؟ لأنني سمعت صوت المفتاح يدور في
الكالون من الداخل !

وضعت على كتفي معطفاً ، وانتعلت حذائي ، وبحذر
فتحت باب الشاليه ، شاهرة السكين في يدي

هذه هي فائدة الرجال الوحيدة .. أن يتقدموا الأنتى
في مواقف كهذه ، كي يتلقوا الطعنة الأولى ، ويتركوا
للأنتى فرصة الفرار ..

أخيراً وقفت بالخارج في الظلام ..

لريح لا تكف عن العواء . وتمضغ معطفي كما
يقول (نزار قباني) ، والبحر من بعيد يشبه وادياً من
الجبال السوداء الشامخة التي لم يرها بشر قبلي ..
برت ببطء حول نفسي ، فقط لأتأكد من أن أحداً
لم يتبعني ، وهنا حدث الشيء الذي يحدث دائماً
للأبواب ذات كالون (اللاتش) في الأجواء العاصفة ..
انطلق باب الشاليه وتركني بالخارج !

والباب الموصد في قلبي ..

يتحدى فرسان الفلاري ..

وقفت بضع ثوان عاجزة عن اتخاذ قرار .. إن
التعطل لا جدوى منه .. الهلع هو الحل الوحيد إذن ..
كنت أرتجف كورقة ، لكنني أقتعت نفسي بأن البرد
هو السبب ، وببطء — شاهرة السكين — رحت أنور
حول المكان ..

لم يكن الظلام دامساً ، فثمة مصباح صغير واه عند
مدخل الشاليه ، وعلى ضوءه استطعت أن أرى النافذة

المفتوحة التي راح شيشها يهتز مع الريح في إصرار
غريب ..

نوت أكثر ، وقفت لتنفسي :

« لو كان المتمسك كتباً أو قطعاً ، لأمكنني أن
أطمئن .. سأثب إلى الغرفة وأفتحها من الداخل .
وهكذا تنتهي المشكلة .. »

لكن ما رأيته على الرمال لم يكن مريحاً .

في البدء كانت آثار جزء كائنات جسد ثقيل يزحف
أو يجر فوق الرمال المبهتة .. ثم تتحول الآثار إلى
خمسين حافيتين غاصتا في الرمال غوصاً ، وأخيراً
تتوقف الآثار أسفل النافذة ..
هل أدخل ؟

لا بد أنني وقفت في البرد والعاصفة أكثر من نصف
ساعة ..

لكنني كنت أرتجف لسبب آخر ..

الخريق بوجهه المنتفخ ، ولسانه البارز . كنت
أراه يزحف في بطن ، خارجاً من البحر ، يجر جسده
بصعوبة لكنه بإصرار .. عازماً علي أن يقضي ليلته

تحت سقفي ، لا يفصلني عنه سوى باب يملك هو وحده مفتاحه ! كنت أراه رأى العين الآن ..

في النهاية - وبعد وقت طويل - لمت نفسي على جبنى ، واتجهت إلى الدفدة ، وقد قررت أن ألب إلى الداخل ، وليكن ما يكون .. أمامي حلاق : إما أن أبقى حيث أنا للأبد وأتجمد ، وإما أن أجرب حظي بالداخل ..

استجمعت قواي ، ووثبت إلى الداخل ، حيث الظلام الدامس ..

مرت لحظة لم أدر ما هي ، ثم وجدت بذات مبتلة قاصية تمسك بمعصمي الذي يحمل المسكين .. بإصرار وغلظة ..

هنا صرخت . صرخت . صرخت

وحين استعدت وعيي كنت جالسة في غرفتنا أرتجف وكان (هشام) واقفاً أمامي يجفف شعره المبتل بمنشفة .

قال لي دون أن أفهم تمامًا ما يقول :

- « حمقاء أنت حقاً ! كدت تفكرين بي بهذا المسكين .. إن للخلاف حدوداً ! »

- « أنت .. أنت .. كيف جئت ؟ »

هز رأسه في لا مبالاة :

- « لم أذهب قط .. لم أجد مكاناً أمضي فيه ليلتي ، فدرت حول الشاليه وفتحت نافذة الغرفة المغلقة ، ودخلتها .. منغى كبريائي من أن أعود كى استسمحك للبيات ! »

- « و .. وآثار الأقدام .. والبلل ؟ »

- « لقد حاولت أن أجرب السباحة ليلاً لكنني وجدت الأمر أكبر مني . توغلت في الماء حتى خصرى ، ثم عدلت عن ذلك ، وعدت إلى الشاليه وقد انقطعت أنفاسي .. »

- « و .. والمفتاح ؟ »

- « وجدت نسخة منه داخل الغرفة ، وأولجتها في الكالون لأؤكد من أنها صالحة له . وكنت عنى وسك الخروج إليك لولا أن وجدتك تتبين لي من النافذة حاملةً سكيناً ! »

ساد الصمت ، إلا من أنفاسنا ، ومن هدير الموج

أخيراً سألته :

- « هل جنت حتى تنزل البحر في ساعة كهذه ؟ »
- « لا أرى لقد كان النداء أقوى مني ، وشعرت
بأن الأمر سهل جداً حين جداً .. للحظة حسبت أنني
قادر على قهر البحر ذاته »

وبخجل ابتسم ، وأضاف :

- « لا أرى لكنني أحسب أن (الحطمة)
نادتني ! »

قلت له وأنا أنزع معطفي الذي صار بارداً
كالمصاص :

- « إن لي مطلباً واحداً لا مجال لك في ترفضه .. »
- « وما هو ؟ »

- « أن نعود إلى (القاهرة) غداً ! »

فيما بعد ازدادت علاقتي سوءاً ، وتم الطلاق بعد
أربعة أشهر ..

إن (هشام) رجل ، ولهذا كان يحمل كل عيوب
الرجال ومنها الغرور ، الذي يدفع رجلاً للسباحة في
البحر عند منتصف الليل في الشتاء ..

هل حقاً نادته (الحطمة) " حتى اللحظة الأخيرة
كان مصراً على هذا ، أما أنا فكانت مصرة على أنه
مجنون ..

لكن خنف الأبواب المغلقة قد يرى المرء ويسمع
أي شيء ..

ربما - لهذا - أستطيع أن أفهمه إلى حد ما ،

انتهت قصة (نادية) ، فابتسمت مدام (ناهد)
بوجهه المرهق المتعب المجعد ، والذي أظهر الماء
حقيقته ، وقالت :

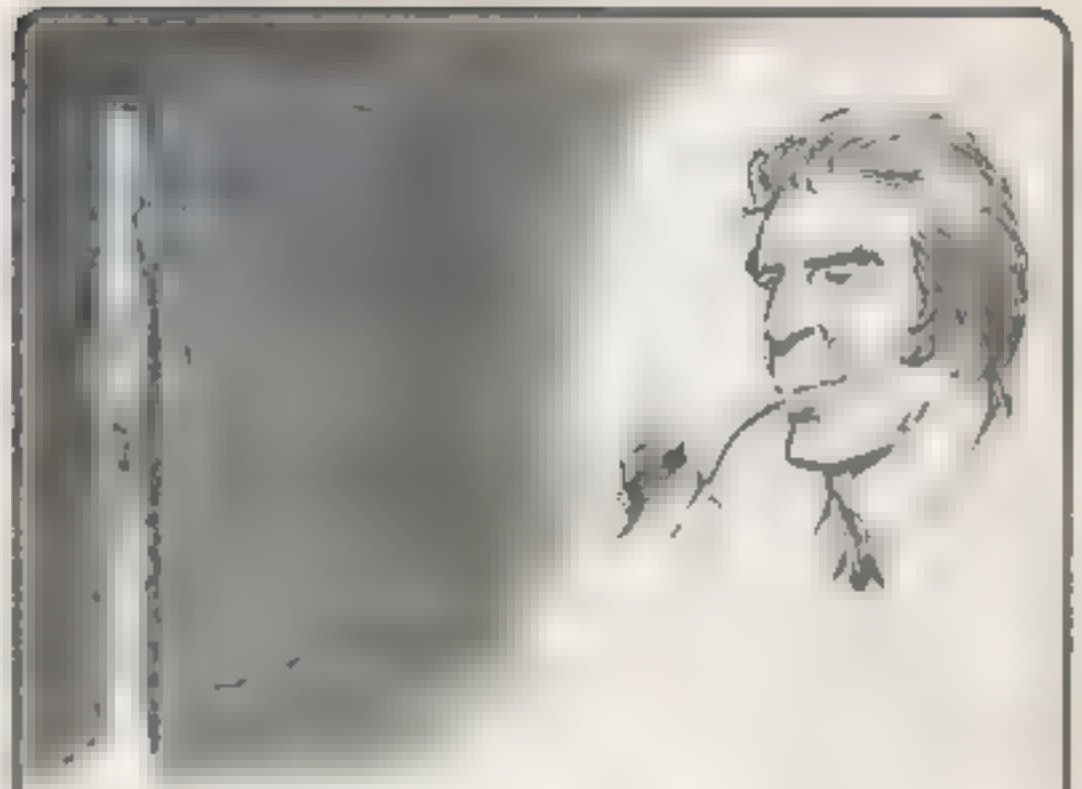
- « حنا كنت تحببة رهيبه يا (نافي) ومن
الحظ الحسن أنك لم تجنى ذعرا .. »
ارتجفت يدا الشاعرة . وهي تفتح حقيبتها بحثا عن
مرآة وقالت :

- « أما لا اجبن ذعرا لاسي ثبته الحنان
الآخرون فقط يفتون ! »

نظرت في مدعنى . كان العجز دانيا ، ومعه يوجد
احتمال لا بأس به فى انتهاء معاناتنا . أشرت إلى
الأستاذ (محمود عوني) ، وقالت :

- « اعتقد ان الوقت قد حان لسماع قصتك
يا سيدى .. »

ابتسم بوقر ، وداعب سائفه الاشعث غريب الشكل
مفكرا ، ثم قال :



الباب الثالث

« جريمة شبه كاملة »

يفتحه : محمود عوني ،

« كان يلتهب بحق ، مرشعا بحق لكن جسده
لم يكن هو الذى يؤدى كل هذا العمل الشاق
كان عفيه هو الذى يعمل ويامر .. »

« قصة عن باب مغلق ؟ كنت طيلة الوقت أفكر
في واحدة لكنى لم أجد . لكنى أعرف قصة حدثت
لشخص أعرفه .. هل هذا مسموح به ؟ »

« طالما كانت شائقة .. »

« أعتقد هذا .. والآن اسمعوا لما أقول .. »

قال الأستاذ (محمود عيسى) :

« عرفت (إبراهيم الفخام) من فترة طويلة ..
ربما منذ عام 1936 كنت وقتها في العشرينات من
عمرى ؛ شغبا مجنوننا بالصحافة ، وكان هو من
أعظم مديري التحرير الذين عرفتهم الصحافة
المصرية .. »

ارتقى الرجل بفنه إلى درجة دأية من الكمال ،
وجعل من الصحف التى عمل بها معرضا مبهرًا للخبر
حين يتزاوج مع الصورة والإطار الأنيق ، وأعتقد
أننى لو لم أعرفه لكنت بالتأكيد فى موضع آخر من
عالم الصحافة ..

١٠٠

فى الآن ذاته عرفت (صبحى محبوب) ، وهو من
جيل (فاروق) ، لكنه يختلف عنه اختلافا بالغا . لقد
قابلته للمرة الأولى فى أحد المقهى التى يرتدها
الرعاع ، لماذا لوتدتها أنا ؟ ليس لاسى من الرعاع
إذا خطر لكم هذا ، ولكن لاسى صحفى . وعلى أن
أذهب لكل مكان وأعرف شئ عن كل شئ ..

وفى مقهى من تلك المقاهى ، جنست أدون بعض
الملاحظات فى مفكرتى ، وعد اوراقى حينما
سمعت من المنضدة المجاورة صوتا سحرًا يقول ..

« هذا هو الصحفى الحق ' فنحييه ! »

نظرت مدهوشنا ، لأجد رجلا اصنع بادنا ، تتمع
صنعه بالعرق ، ويتطاير الغاب من شفه الغنيطين ،
ويرتدى بذلة ملينة ببقع الزيت لا بد ان (تحتمس
الثالث) لوتداها فى زفافه . كان يدخن (الجوزة)
فى نهم ، ولا يكف عن البصق على الارض كى يمسح
البصقة بحذائه العتيق .

لما رأى دهشتى واستعدادى للقتل ، قال

« لا تتضايق ! أنا صحفى مثلك ، وأعرف

الصحفى حين أراه ؛ لكن دعنى أقول لك إن الحماس

لن يفودك بعيدا .. إن هذه المهنة لا ترحم ! »

هذا صحفي ؟ غريب حقاً ..

بالتأكيد حين دخلت عالم الصحافة لم تكن هذه الصورة في ذهني .. إن كل شاب يدخل عالم الصحافة لا يرى سوى صورة (التابعي) في ذهنه ، وفيما بعد صارت صورة (محمد حسنين هيكل) الشبيه بنورد إنجليزى تبيل ، هي الصورة التي يحلم بها الشباب .. أما هذا الشيء الذي يخاطبني ؟

قال لي :

- « أنا (صبحي محبوب) .. العاشي في الظلال ، والذي يثير نفور الجميع .. »
- « تشرفنا .. »

سألني عن جريدتي ، وعن مجال عملي ، وطلب مني أن أدعوه إلى حجر آخر مع كوب شاي .. هكذا إذن ! يتسول ببساطة ..

سألني وهو يشلط الشاي في هيام :

- « هل تعرف الكلب (إبراهيم القمام) ؟ لا بد أنك معجب به .. »

تحفزت في عصبية :

- « أنا لا أسمع لك به »

ضحك في مرارة كاشفاً عن أسنان تساقط أكثرها ، وما بقي منها لم يعد جميلاً ، وقال :

- « دعك من حماس الشباب الأحمق هذا . هذا الرجل هو ببساطة أقذر لص عرفته المهنة ، وهو مصاص دماء يعيش على جهود الآخرين وعرقهم وربما لعائهم .. »

وفي اللحظات التالية ، حكى لي بالتفصيل ما لم أعلمه قط عن الرجل ..

لقد بدأ الرجلان بداية واحدة ، لكن ما لم أعلمه عن (القمام) هو أنه كان مستعداً لكل شيء وأي شيء ، وكان يسرق أفكار صديق عمره ببساطة وينسبها لنفسه ، ويدس له عند كل الجهات بما فيها البوليس الميأسي نفسه ، وهكذا بدأ (القمام) يصعد السلم بسرعة ، ومع كل مرة يصعدها كان (صبحي) يهوى درجة أو درجتين ..

ثم ارتكب (صبحي) خطأ عمره : تزوج ، وهكذا هبط درجة في السلم الاجتماعي ، ثم أنجب وهكذا هبط درجة أخرى .. وهكذا حدث له بالضبط ما توقعه فيلسوف الانفجار السكاتي (مالتوس) .

لا يدرى (صبحى) متى ولا كيف وصل لهذه النتيجة . صديق شبيه مدير تحرير لامع بتهافت الشباب لسماع حرف منه ، بينما هو - (صبحى) - قد صار رائد مفاد ، يطرد دائماً من أى مكان يتواجد فيه أكثر من عشر دقائق ..

وجاء العرض من (الغنام) تحت ستار مساعدة صديق فى مازق ..

سيعمل (صبحى) معه ، ولن يظهر فى الصورة أبداً .. فقط سيعتمد منه الأفكار الجيدة الجديدة - وما أكثرها عند (صبحى محبوب) - ويقدمها للناس باعتبارها من أفكاره هو . والمقابل " طبعا بضعة ملائيم لا تشبع ولا تفى من جوع ، لكنها على الأقل تبقى أطفاله أحياء ..

الآن صارت لدى (إبراهيم الغنام) مؤسسة كاملة من الصحفيين الشبان المتحمسين ، وثلاثة من المترجمين انشيوخ ثقيلى الوزن ، وصحفى عجوز هو (صبحى) ، وكل كل هؤلاء يعملون ليل نهار مقابل ملائيم أو كلمة مديح بسيطة .. وفى النهاية تخرج الجريدة أو المجلة فى أبهى صورة ممكنة تحمل

للقارئ نياً أن (مدير التحرير) هو (إبراهيم الغنام) ؛ ومن النادر أن يلاحظ رجل الشارع اسم مخرج الفيلم السينمائى أو مدير تحرير الجريدة . لكن القاعدة تتحطم مع مخرجين مثل (هتشوك) أو (يوسف شاهين) أو (فيللىنى) ، ومع مدير تحرير مثل (إبراهيم الغنام) ..

كان (صبحى) يكره الرجل بحق . يحقد عليه بحق .. يحتاج إليه بحق . يعجب به بحق . علاقة معقدة جداً ، تحتاج الى أدب من طرف (نستوينسكى) كى يعبر عنها بدقة
* * *

لما ما حدث بعد هذا بشهرين ، فامر لم أره ، لكنى قرأته .. ولا أستطيع الإفصاح عن مصدر قراءتى له قبل أن أكمل القصة ..

* * *

كان (صبحى) يظن حقاً كما قد ، وكان فى ذهنه وضع الخطة تشو الخطة للانتقام ، حين اتصن به (إبراهيم الغنام) من (الإسكندرية) يطلب منه أن يوافيه هناك كانت المكاملة فى المقهى بالتطعم لأن (الغنام) يعرف

بالضبط أين وكيف يجد فريسته ، وجاء القهوجى
الشاحب (سنقر) يخبره بأن هناك من يريده على
الهاتف .

رفع السماعة فى توجس ، فسمع (الغنام) يصيح
فى مزح :

- « هذا أنت أيها العجوز ! لم لا تنس أعباءك
وتجروا إلى (الإسكندرية) بعض الوقت ؟ »

- « ليس معى ما يكفى لنسيان الأعباء كما تعلم . »

- « لا عليك . الجيب سداد . إبنى بحاجة إليك

فى بعض أمور مهمة . إن رأيك لم يعد الاستغناء
عنه ممكناً .. »

وكانت هذه هى البداية لموقف اعتاده (صبحى)
وعرفه جيداً عملية اعتصار الأفكار النهمة من
صديقه القديم المتظاهر بالموودة ..

وهكذا ذهب إلى بيته المتهالك الضيق ، فقال
لامراته التى عصبت رأسها (علامة النكد الأزلى)
إنه سيقضى يوماً أو يومين فى (الإسكندرية) وركل
الطفل الذى ركل أخاه الأصغر ، ثم اتجه إلى الباب
دون أن يضيف كلمة واحدة ..

جلس فى القطار يجفف العرق المحتشد على جبينه ..
كان الألم حاداً ضاعطاً عاصراً .. وكان يعرف إلى
حد ما ما يعنيه هذا الشعور الممض خلف عظمة
القصر ..

هى ذى سنوات من الفقر والإحباط والغضب
المكبوت ، تجتمع كلها فى شرايينه التاجية لتسدها ..
ها هو ذا القلب الذى لم يذق لحظة سعادة واحدة ،
يحتج فى صمت أولاً ، ثم يصرخ ثانية ..
ها هو ذا ينثره بالصمت للأبد ..

وعندما تجاوز القطار (دمنهور) كانت النوبة قد
انتهت ، لكنها أسلمته إلى إعياء شديد ، لم يفق منه
إلا حين شم رائحة محطة (الإسكندرية) المميزة ..

كان (إبراهيم الغنام) يملك شيئاً هو ما بين
(الشاليه) و (الفيلا) فى (العجمى) ، وفى ذلك
الوقت كان (العجمى) شاطئاً شبيه مغلق ترتاده
الصفوة ، وبها به العامة بشدة .. ولم يكن الوقت وقت
اصطياف ، لذا لم يندهش (صبحى) لكل الفراغ الذى
قابله به الشاطئ المظلم ..

أخيراً وجد السمانيه / الفيللا ، ولم يكن المدخل
مفتوحاً ، نذا اسباب إلى الداخل ، وقرع الباب حتى
فتحه (إبراهيم الفقام) ..
ولم يكن هذا الأخير مروراً جداً ..

- ٢ -

قال (محمود عوني) :

- « لم يكن (الفقام) يادى السرور بهذه الزيارة ،
لكنه رغب بصديقه القديم ، ودعاه إلى الداخل . قال
شيئاً ما عن أنه كان يتوقع قدوم (صبحي) نهائياً
لم يتوقع كل هذا الحماس المبالغ فيه .
في النهاية اضطر إلى القبول بالأمر الواقع ، ودعاه
ليجلس ..

كان يرتدى منامة حريرية . مما يدل على أنه
استعد لدخول الفراش ، وكانت هناك منضدة عليها
لغافة ورقية مفتوحة بها كائن أسود عذب الرائحة ،
يسمونه (كباب) .. وكانت هناك سلة أبيقة بها
بعض التفاح طويح بواحدة منه إلى (صبحي) ،
ولم يناوله السكين بالطبع ..

جلس في أريكة مريحة ، وقال :

- « الموضوع - ببساطة - هو مجلة جديدة
يريدون أن يعهدوا لي بأن أكون مديراً لتحريرها ،
والأمر ليس بالسهولة التي يبدو عليها ، لأنني مكلف

بوضع تصور نكر شيء كل شيء بدءا بتسكن
الغلاف وانتهاء بمن يكتب ومن لا يكتب والمعسوب
ألا يشبه هذا العمل أى عمل سابق .. «
ثم مد يده فى حيب منامته ، وأخرج مظروف
صغيرا :

- « هاك ! خذ ! »

وطوح به فى الهواء ، نكن (صبحى) لم يكن
ممن يحيدون لعب التنس ، وارتطم المظروف بكتفه
ليسقط أرضا ..

قال (الغنم) وهو يعود لاسترخاء جلسته .
- « هذه أتعب مقدمة . وينتظرك مظروف مماثل
بعد الانتهاء من كل شيء من المفروغ منه أننا لن
نعود إلى (القاهرة) إلا بعد ما نضع تصورا شاملا
محكما لكل شيء .. »

وأشار لرأسه بسبابته :

- « تريد بعض (المخمخة) إذن .. »

قضم (صبحى) نصف التفاحة مرة واحدة
وراح يلوكها بصعوبة بأسنانه المنهكة ، وتساءل .
- « هل لهذا جلت هاهنا ؟ »

وكان يعرف الإجابة بالتطوع ليس لهذا فقط
نكن (إبراهيم الغنم) قال فى جدية .

- « بالتطوع لقد قررت من كل اعبس لا احد
يعرف اسى هنا ، ولسوف تنقلب (القاهرة) رأسا
على عقب بحثا عنى ، لكنهم لن يفكروا فى هذا
الشأنه . إننى متفرغ للتفكير العميق . »

لم يكن (الغنم) متزوجا ربما تزوج مرة وطلق .
ولشذ ما حسده (صبحى) على هذا لهذا يحتفظ
بنضارته وخنوه من الهموم صحيح أن المرء
يتزوج ، كى لا يكون وحيدا فى شيخوخته . لكن
(الغنم) لن يكون وحيدا أبدا سيجد دوما من يهتم
به ، ويقدم له منعة كبيرة من شراب السعال حين
ينعاسى سعاله ليلا حتى لو ابتاع هذه الخدمات بماله
قال (صبحى) وهو يلقي ما تبقى من التفاحة فى
فمه :

- « معذرة لكنى لا أستطيع التفكير بمثالة
ملينة .. »

- « هذا حقك البترى (التوائيت) على يسارك
عند نهاية السلم .. »

ونفض (صبحى) متشققاً . فوجد درجاً خشبياً
ينزل لأسفل إلى ما يشبه القبو ..

كان الحمام كما وصفه الرجل . وكالعادة كان
عطراً فخرأ به مرآة هائلة الحجم ، تراصت على رفها
زججت من العطور و (اللوسيون) تفوق ما فى أى
متجر كبير

غسل (صبحى) وجهه المبتل بالعرق من وعشاء
السفر . ورش عطراً ما من زجاجة تحت إبطيه ..
بدأ ينتعش ، وأضافت الميثانة الفارغة انتعاشاً إلى
انتعاشه . فغابر الحمام ، عازماً على العودة إلى
جلادته ..

هنا رأى الغرفة المفتوحة أمام الحمام ..

كانت الجدران عارية تماماً إلا من القرميد ، ومن
السقف تدلى مصباح متهالك .. أضواءه فوجد أن
الغرفة أقرب إلى حمام آخر تحت الإنشاء .. بها
صنبور ماء يتدلى من ماسورة عارية ، وبها فتحتا
صرف فى الأرضية ..

كانت هناك شكاير من الأسمنت مكذبة فى الركن ،
وعدة صفوف متراصة من القرميد .. كما كانت هناك
أدوات بناء : رفش وتلك الأداة التى يستخدمها
البناءون فى وضع الأسمنت .. وكانت هناك كمية
لا بأس بها من علب تحوى بلاطاً قيثانياً - قبل عصر
السيراميك طبعا - وكل ما يوحى بأن هذه الغرفة
ستتحول إلى شيء آخر ، ما إن يسمح الوقت بذلك ..
هذه الغرفة بدورها توحى بشيء ما لا يدرك كنهه ..
تأمل المكان فى اهتمام ، ثم غابره بعد ما أطفأ
النور ..

كان الباب مولرباً ، لذا تركه كما رآه ، وصعد فى
الدرج إلى حيث كان (إبراهيم الغنام) يفرز محتويات
ملف كبير ..

« شفرتم ! »

قاتها باسمًا فى سخرية ، ثم دعاه إلى الجلوس
بجواره ..

« أريدك أن تدرس هذه الأوراق .. كن حراً تماماً
فى التعديل أو الحذف .. »

هنا رفع (صبحى) وجهه فى تحد ، وقال :

- « ومن قال إتنى قبلت ؟ »

بهت (الغمام) قليلاً ، ثم هتف :

- « لقد تقاضيت أتعابك ! »

- « ثم أمس المظروف اعتقد أنه في موضعه

على الأرض لو لم أكن مخطئاً . وعلى كل حال أنت

لم تناولني شيئاً في يدي ، بل ألقيته في وجهي إلقاءً »

وصع (العدم) المنف جائب ، وقد بتودة

- « (صباحي) . أنت لا تملك الرفض .. أنا بحاجة

إلى ، وليس من المعتاد أن أكرر هذا مرتين »

- « وأنا مصرٌّ على الرفض .. »

- « والأسباب ؟ »

ابتسم (صباحي) في مرارة ، ونظر إلى حيث كان

المظروف :

- « كم في هذا المظروف ؟ »

- « خمسون جنيهًا .. لماذا تسأل ؟ »

- « لأنني سمعت الاستسلام لقد استسلمت لك

مرارا ، وصنعت نجاحك ، لكن المكافأة في كل مرة

كانت بضعة ملائم حتى الكلاب قد تعض صاحبها

إذا ما بالغ في إساءة معاملتها .. »

- « خمسون جنيهًا » يا لك من جشع ! إن طيبة

قلبي مع صديق قديم تدفعني إلى إذلال نفسي دون

مبرر . أنت لم تر هذا المبلغ ، وفي الغالب لن تراه

أبداً .. هل تعرف السبب ؟ »

- « إتنى أتحرق شوقاً لمعرفته .. »

اشتعل الغضب نارا في عيني (الغمام) وصاح

- « لاك أحق ! لاك بلا مواهب ولا قدرات إن

الحياة تحسن اختيار من تهبه ثمراتها فقط

الموهوب والذكي والبارع يثابون كل شيء ، بينما

أمثالك ينحدرون ينحدرون ولا يكفون عن

الشكوى من انظم الفادح الذي يقونه لقد استحقوا

ما حدث لهم ، ولا ظم هناك . دعهم ينعموا بنذرة

الشعور بالاضطهاد دعهم يمارسوا (البار اتويا)

على اوسع نطاق إنهم يستحقون كل شيء لأنهم

حشرات وأنت مجرد حشرة لا يجب أن نتمنقها أكثر

من اللازم كي لا تلدغنا ! »

وأخذ شهيقاً عميقاً كي يواصل الهجوم .

- « (صباحي محجوب) . إتنى أحفض عرضي إلى

ثلاثين جنيهًا وأعرف أنك ستقبلها مهما تعاليت .

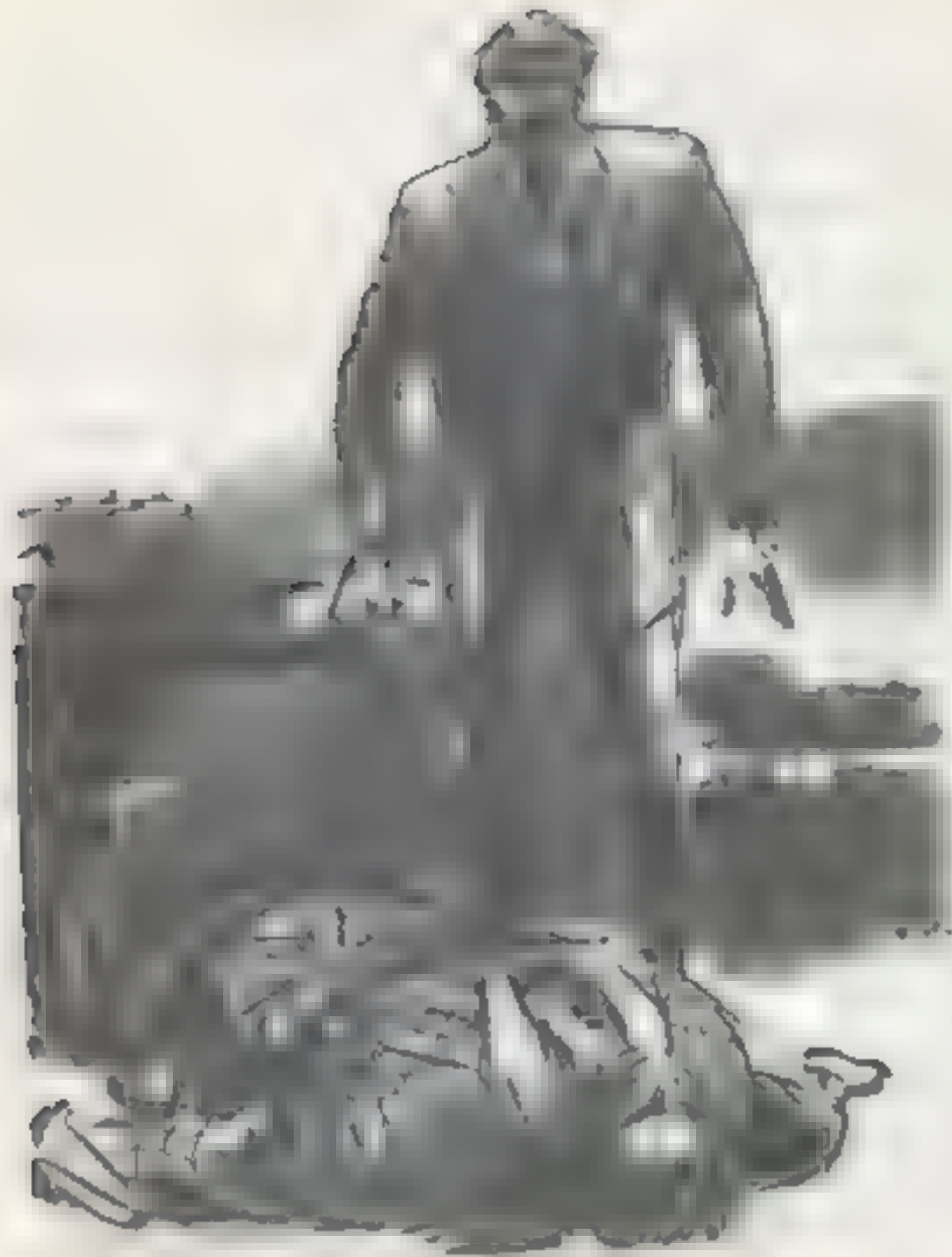
لماذا ؟ لأنك بحاجة إليها .. لأن أطفالك جوع ، ولأن
آبائهم جاهل معدوم الموهبة .. ولأن *
لم يكمل العبارة التالية ، لأن (صبحى) غرس
السكين فى صدره حتى المقبض ..

الان صار المشهد درامياً بحق ..
يقف (صبحى) ذاهلاً يرمق الرجل الأبيض الممدد
على الأرض ، ينزف دمًا من صدره بلا انقطاع ..
لم يحتج إلى أن ينحنى ليتحسس صدر (إبراهيم)
أو نبض معصمه .. فالموت شىء يمكن معرفته
بالتسليقة ..

ومن الغريب أنه لم يفقد ترتيب ذهنه .. لقد أثار
الرجل أعصابه إلى حد غير مسبوق ، وصارحه بكل
ما كان كلاهما يعرفه .. لكنه يدبره خلف قناع
الحضارة والتعذيب ..

الان صار الموقف تجريدياً تاماً .. مشادة انتهت
بضربة سكين كما يحدث فى مقهى (شريحة) ، لا فى
بيت مدير تحرير كبير ..

يمكنه الفرار . لا أحد يعرف أنه هنا ..



يقف «صبحى» ذاهلاً يرمق الرجل الأبيض الممدد على
الأرض ، ينزف دمًا من صدره بلا انقطاع

لكنه كان ذكياً بما يكفى .. لابد من بصمة هنا
أو هناك .. لقد ترك دون تحرز بصماته فى كل مكان ،
ويحتاج إلى عشر سنوات كي ينظفها جميعاً ، هذا
طبعاً بعد أن يحصل على دكتوراة فى العلوم الجنائية .
فى قرارة نفسه لم يكن نادماً إلى هذا الحد .. لم
يكن ندمه أكثر من ندمه بعد قتل فلر تسلل إلى
المطبخ ربما الاشمزاز هو الشعور الطاغى الآن ..
وهكذا تركز فكره فى الوسيلة الوحيدة للخروج من
المأزق إدفن أخطائك الوسيلة التى توصل إليها
(قهيل) وهو يتأمل جثة أخيه (هابيل) لكن لم يكن
هناك غراب هاهنا ..

الغرفة التى أمام الحمام ..
إنها توحى بشيء ما ..

ولم يكن (صبحى) رياضياً قط ..
بالأحرى كان يملك جسد شيخ وقلب مومياة
وعضلات طفل رضيع .. وكان داء السكرى قد فتك به
بشدة ، مع تدخين (الجوزة) المستمر ..

لهذا لم يكن جر جثة (القمام) عملاً شديداً الإمتاع ،
لم يكن نزهة مريحة . كان العرق ينساب على
صلعته وتحت إبطيه ، واستطاع أن يشم رائحة العطر
الذى سرقه فى الحمام ، تفعم الجو إنها حقاً رائحة
(إبراهيم القمام) المميزة ، حتى كان الرجل يملأ
المكان ..

هو ذا يهبط فى الدرج الخشبي ..

يجرّ الجسد جرّاً إلى الغرفة التى تنتظر استكمال
بنائها ..

لا أحد يعرف أن (القمام) هنا ..
لا أحد يحس لهذا الشاليه ..

من المعروف أن (القمام) كثير التنقل ، كثير
الاختفاء ، كثير السفر إلى الخارج .

لا توجد جريمة دون جثة . لابد من جثة قبل
البحث عن قاتل ..

هذه هى المعطيات ، وعليه أن يستفيد منها ..

فى كثير من العصر جر الجثة إلى الداخل .. تعلق
الباب فى خف إحدى القدمين ، فحرره لكن الباب
انفلق وراءهما ..

لا بأس .. إنه بلا قفل أصلاً ..

أضاء النور الواهن ، واستعد كى ..

هنا أطيقت عليه يد الجثة !

هلع ونظر مذعوراً إلى ساقه ، ليجد (القنار) وقد
فتح عينيه فى شراسة يعتمر ساقه بيد من حديد ،
ويحاول أن يمسك بالساق الأخرى

كان المشهد مريباً أشبه بالحصصات التقنيدية فى
أفلام الرعب ، حين يعود الشرير الميت للحياة فجأة
قرب نهاية الفيلم . فقط ليتضح أنه لا يموت بهذه
البساطة

- « اتركها يا أحمق ! »

وبصعوبة مد يده إلى حيث كان الرفش .. تمكن
من القبض عليه . رفعه عنياً ثم هوى به مرتين ..

من جديد عاد الهدوء واستتب الأمن .

عاد فواده إلى معدل خفقاته الطبيعي ، فجلس جوار
الجثة ينهث :

أخيراً استرد قواه ، قهض ..

كانت هناك قصعة فارغة مملأها بالأسمنت من جوال
هناك ، وجرها جرأ إلى ما تحت صنوبر الماء

الآن يجرء دور العمل الفنى البارع

جر الجثة إلى الجدار القرميدى وأراحها هناك ،
بحيث تحتل أقل مساحة ممكنة . ثم مزج الأسمنت
بالماء . لو كان هناك رمل لصنع (مونة) رائعة بحق ،
لكن لا وقت للتدقيق فى قواعد علم الخرسانة على
كل حال ..

وضع طبقة من الأسمنت على الأرض تمتد فى خط
بطول الجدار ، ثم بدأ يرص قطع القرميد متلاصقة
فوقها ..

هذه هى خطته . لقد صنع جداراً جديداً يبتعد عن
الجدار القديم بنصف متر . وما بين الجدارين وجد
فراغ يصلح قبراً دائماً للجثة .

لن يجد أحد الجثة إلى يوم الدين .. ربما لو أزالوا
الشاليه لوجدوها ؛ لكن أحداً لن يلاحظ أبداً أن طول
الغرفة قد انكمش نصف متر دون سبب واضح
- « كل شيء ينكمش فى الشتاء ! »

ورأيت له الدعابة ، فطفق يضحك ، ويواصل مهمته فى الصوء الخافت المؤذى للعينين

ستفتش الشرطة كثيرا ، وستبحث فى الشاليه ، لكنهم لن يجدوا ما يدن على أن (القنم) أمضى ليلتين هنا . هو سيزيل كل الاثار وسياكل الكباب والنفاح ويخفى الاوراق فى حقيبتة .

الان يضع صنفا ثالثا من القرميد ، ويزيد من كمية (المونة) . لحسن الحظ أن الصنبور هنا .. كان سيجتاح لنقل الماء من الحمام ويأله من جهد !

لسوف يوضع اسم (ابراهيم القنم) فى قوائم من (خرجوا ولم يعودوا) ، وبعد أشهر عدة سينسى الناس من كان ..

بصمات ؟ لن يهتم أحد برفعها ، لأنه لا جثة هناك .. وحيث لا توجد جثة لا توجد جريمة . سيبدو الشاليه فى نهاية عمل (صباحي) كأنما لم يزره أحد منذ عام .. صف سادس من القرميد . الجدار يعلو ..

كان ينهت بحق مرهنا بحق . لكن جسده لم يكن هو الذى يؤدى كل هذا العمل الشاق . كان عقله هو الذى يعمل ويأمر ..

السادسة صباحا ..

يا لها من ليلة ليلاء !

ونظر لأعلى ليجد أن الجدار قد علا تقريبا . حتى لامس السقف . كانت آخر أربعة صفوف هى الأصعب ، وقد احتاج إلى الصعود مرارا على خمس شكالر من الأسمنت كدسها فى شكل ستم .. رباه ! لم يحسب قط أن شيكارة الأسمنت لها هذا الثقل المريع .. لا يمكنك أن تصدق هذا ما لم تحاول جز واحدة على الأرض ..

كان يدرك أنه سيمرض بشدة بعد هذا سيلازم الفرائش شهرا أو أكثر .. ربما

هنا بدأ الألم ..

لم يكن تدريجيا كما اعتاده ، بل هو ألم مفاجئ صارم قاهر يتحين الفرصة فى نهم . وقد اعتاد هذا الألم وعرف مصدره جيدا ..

وأصابه الذعر وترك ما يقوم به ..

كلا .. لن يموت هنا .. لن يموت بهذه البساطة . عليه أن يهدأ قليلا . لكن محاولة الهدوء كانت تحتاج

منه إلى جهد يزيد الغناء على قلبه ما كان لهذا
القلب أن يتحمل كل هذا الانفعال والجهد العضلي ..
شهيق في جزع . عليه أن يغادر هذا الحمام
الخاطئ .. عليه أن ..

مترنحاً هرع إلى الباب الموصد ، فقط ليكتشف
المفاجأة غير المسارة على الإطلاق الباب بلا مقبض
طبعا لكنه يحوى (الثالون) الداخلى ، وله لسان
قد برز الآن ليدخل في ثقبه ..

يحتاج إلى مقبض يحتاج إلى جسم معدنى مصلح
يدسه في الثقب ليدير به اللسان لكن كيف يجده والألم
يزداد ، والهواء أكثر ندرة من من (اليورانيوم) ..
من الـ ؟

دق الباب مرتين أو ثلاثاً

تحول الصراخ إلى عواء طويل كهواء نذب جريح ..

ثم لا شيء ..

سلام مطبق

بعد ثلاثة أشهر فتح رجال الشرطة الشاليه / الفيلا ،

فوجدوا أشياء غريبة جداً ..

وجدوا جثة - تحولت إلى عظام الآن - خلف جدار
نصف مكتمل .. ووجدوا هيكلًا عظميًا يحاول الزحف
إلى باب بلا مقبض ..

وكان هناك شينان آخران لهما أهمية خاصة :

الأول هو جهاز تسجيل أدوره (إبراهيم الغنام) منذ
جاءه (صبحى) ، وكان يجمع تسجيل كل تفاصيل
المحادثة لتفريغه فيما بعد ، وتنسيق أفكاره ، وهو
مالم يخطر ببال (صبحى) قط ، ولم ير الجهاز أصلاً ..

الثانى هو مقبض باب - نصف مقبض إن صح
التعبير - وجدوه مختلطاً بأسمنت جاف في قصعة ..

وتساءلوا : من الأحق الذى يخلط مقبض باب
بالأسمنت ؟ وما هو الغرض ؟

قلت له (محمود عوني) بعد ما انتهت قصته :
 - « إذن كانت القصة هكذا ! أنى سمعت تفاصيل
 القصة حين حدثت في زمنها ، لكنى لم أعلق عليها
 أهمية كبرى ، ولم أعثر فيها كما أعيش الآن . إذن
 كان مفضل الباب فى قصة الأسمنت من البداية ! »
 ابتسم فى وقار ، وقال :

- « طبع . لكن من المبدعة أن يقول إن هذا كان
 سينقذ (صبحى) . فلمكان ناء والمجهود كان عنيفا
 ثمة عدالة شعرية فيما حدث . وإن كنت أكذب
 لو زعمت أنى مسرور بهذه النهاية »
 قالت مدام (ناهد) وهى تضع بعض الشطائر
 امامنا ، كانت قد جنتها من المطبخ .

- « لقد تعضقت مع (صبحى) أكثر من (ابراهيم
 تيمور) وهى سريرة فى هذا المعطف »
 قال المخرج العجوز . وهو يمد يده إلى سطيوة .
 - « هذا لأن القصة كلها من وجهة نظر
 (صبحى) ، وهذا يحفز تعيش تجربته . وتبين



الباب الرابع

« كلاكيت ! »

يفتحه : « حسين أبو النجا ،

« صلامح الرجل عريضة حفا عينا جاحظان
 معتمار بالدعر شعره منتصب كاشوات قنعد ،
 وها هو ذا يصع يديه على جانبي راسه ويصرخ
 طبعاً صرخة صامنة لم يسمعها أحد »

قضيته على الفور مهما كانت خاطئة .. هذا يحدث كثيراً في السينما حين يجعلك السيناريو تتبين قضية لص أو قاتل ، وهو خطأ أخلاقي ، لكن النهاية تبرره .. وثمة قاعدة قديمة في (هوليوود) تقول : دع المشاهد يعشق الأخطاء ثلاثة أرباع الفيلم ؛ إذا كنت تتوى عنه يمقتها في الربع الأخير . ولو كانت القصة من وجهة نظر (الغنم) لكان تعاطفنا في اتجاه مختلف تماماً «

ساد الصمت برهة ، ثم قلت بفم مليء :

- « الباب الأول كان يخفى سرّاً جهنمياً لملمحن شهير . الباب الثاني كان يدارى غريباً اتضح أنه ليس كذلك . الباب الثالث أفسد جريمة شبه كاملة .. ترى ماذا ينتظرنا خلف الباب الرابع ؟! »

ونظرت إلى المخرج العجوز (حسين أبو النجا) ،

وقلت :

- « هذا دورك يا سيدى .. »

في عصبية قال :

- « حان أوان ذلك ظننتكم ستجاهلون قصتى

للأبد .. »

- « بل نحن نبقى انحوى لنهاية التوجية . »
فلتها مداها متمنقاً فلا أرغب في إثارة غضبه
في ليلة كهذه ..

قال المخرج الكبير (حسين أبو النجا) :

- « كنت في ذلك الحين متعاقداً مع المنتج الكبير () لتصوير آخر أفلامى (فاجعة فوق السطح) مع النجمة الشهيرة (حسناء) والاستاد (عمر عزت) من المعروف على أننى من المخرجين سررى الإجاز . وأن فترة ثلاثة أسابيع كافية جداً لتصوير أطول فيلم لى ، كما أننى أتحرّك في حدود الميزانية المقررة لا أتجاوزها .. »

« يتهمنى النقاد بضيق الأفق والسطحية لكننى - ببساطة - رجل فهم الجمهور ، وعرف ما يتوقعون منه ، ويمكننى إيجاز أى فيلم بحنطة سرية أعرفها وحدى بعض الجريمة بعض الحب بطننة حسناء رقصة شرقية عصابة ما النهاية السعيدة والزواج من يتزوج من ؟ البطر والبطنة طبعاً مهما تباينت شخصيتهم

جمع من يفوز فيلم من افلامى فى مهرجان (برلين) ،
 وزن بطل فى دور العرض عام ١٩٣٤ ، لكنه يحقق
 هدمش ربح لا بأس به لمنتج ، والسينما صناعة قبل
 ان تكون فن . انسى اصمن سرعة دوران راس المال ،
 وهناك بمكس صنع فيلم ثان فثالث ، كلها تكفل الحياة
 ان حدة لى ولاصفتى ، والمنتج والممثل والمونتير
 ودم بترت مشاهد دار السينما شاعرا انه قد خدع
 لقد حصص على كل شيء و ب (الكينو)
 من ينسكو الى سوى انقاد المعقدين منكوشى
 الشعر كثيرى للتدخين ؟

« أكتفن ا »

فيها بنهجى الامرة المملوطة التى اعشقها ،
 وهناك هرع صدى الى (كلايت) المصاب بالانيميا يتلو
 امد العدسة رقم السفطة ، وعدد مرات تصويره ، ثم
 نزع اللوحة والسحب ..
 هدير التكمير العائى الأضواء الباهرة ..
 انكور الممثلون

رباه ! من يزعم بعد هذا اننا نقدم هراء ؟

..

لن كل هذا يكف مالا . لكنه رائع ولا يصدق .
 ولنا البطل من البطلة لينقى العبارات التى حفظها
 من (السيناريو) ..

طبعاً لا داعى للقول انه حفظ هذه العبارات من ربع
 ساعة لا أكثر ، وراها لأول مرة فى حياته من ثلث
 ساعة .. لا وقت لدى ولا لديه لجنسات الاستماع
 ومناقشة السيناريو وكل هذا الهراء . لسنافى
 (ستوديو الممثل) الشهير فى (هوليوود) حيث يكون
 على الممثل أن يفكر ويحلم ويتفلس كبطل الفيلم ،
 دون أن يكف عن أن يظل هو . هؤلاء القوم لديهم
 الوقت والمال ، أما هنا فأتا بحاجة لبطل بجيد اصطناع
 أربعة أنماط من العواطف : الغضب - القلق - الفرحة
 - الهيام .. هذا كالف جداً ..

البطلة تعطيه ظهرها وتواجه الكاميرا (هذا هو
 الميزانسين المفضل لدى مهما سخر الساخرون) ،
 بينما هو يكلمها فى هيام :

- « (مرفت) أنت الأمل الذى انتظرتة طيلة
 حياتى .. »

فتقول في تعال :

« لا تقل لي هذا .. قل له (نادية) .. »

فيبدو الألم على وجهه ألم سينمائي من الذي
بحرك الملامح كلها ..

ثم يقول :

« (نادية) وأنا مجرد صديق .. لم يعد بيننا

ما إلخ .. »

هنا لاحظت أن الباب في خلفية الكادر يتحرك .
المشكلة هي أنه واضح للعين أكثر من اللازم ، وهما
وحيدان كما هو مفترض . في العادة لنا لا أدق
كثيراً . في هذه الأمور ، وفي أحد الأفلام دخلت
البطلة غرفتها لتبكي أمام مرآتها ، وحين عرض
العبث ظهرت صورتي واضحة تماماً في المرأة ،
ورأها النقاد جميعاً ؟ (*)

ماذا حدث ؟ هل انطبقت السماء على الأرض ؟ هل
توقفت الحياة ؟ سرعان ما تمر أشياء كهذه ،

(*) حقيفة لقد حدث هذا بالفعل مع مخرج آخر لن يذكر

اسمه طبعاً !

وينساها الناس .. لا أحد يعلق المشائق لأسباب واهية
مثل هذه .. دعك من أنها أشياء تؤدي رواح الفيلم ،
ولرب من يدخل السينما فقط ليرى صورتي في
مرآة البطلة ، وبضحك !

« ستووب ! »

بوت صيحتي الغاضبة فهذه المرة لم يكن من
السهل أن أتجاوز عن هذا .. وما أحنقتى هو أنني
لا أصور النقطة مرتين إلا فيما ندر
وصحت في عمال الاستديو المذعورين :

« من الذي يحرك هذا الباب ؟ »

« لا أحد يا سيدي .. لا أحد .. »

وهرع أحد فنيي الكهرباء نحو الباب وفتحه لم
يكن وراءه شيء سوى ستار مفرد من الكتان . إنه
ديكور مسطح ذو بعدين ككل ديكورات السينما ، ومن
غير الولد أن يتولّى أحد وراءه ..

« إذن تأكدوا من غنقه كي لا يفتح . »

ولم يكن الساب مزوداً بقفل أو مزلاج ، لذا تفتق
ذهن أحدهم عن جلب قطعة قرميد ووضعها تحت

الباب . حيث تظل بعيدة عن مجال العدسة ، وتمنع
الباب من الاهتزاز ..

كان البطل قد انتهى من تدخين لقافة تبغ ،
والبطلة قد وضعت مساحيقها وأعدت لصق أهدابها
الصناعية للمرة الالف هذا اليوم
- « صمتا ! صمتا ! »

ومن جديد جلست في مقعدى ، وأطلقت صيحة
البدء فالتكليت ، ثم راحت آلة التصوير تهذر ،
و ...

- « (مرفت) أنت الأمل الذى انتظرتنه طيلة
حياتى .. »

- « لا تقل لى هذا قلله لـ (نادية) . »

- « (نادية) وأنا مجردة »

هذه المرة تحرك الباب بعنف أكثر ، وتعالى الصرير
مع صوت قطعة القرميد إذ تحتك بالأرضية ..
وتبادلنا النظرات مشدوهين



عند المرة تحرك الباب بعنف أكثر ، وتعالى الصرير مع
صوت قطعة القرميد إذ تحتك بالأرضية

قال المخرج العفري (ابو السج) :

« لكم ان تتصوروا غضبي وضيقى من هذا
السحب نهضت بنفسى الى الباب وتفحصته كان
ثقيلاً الى حد ما ، وقد ساعد قائب القرميد فى جعل
عملية فتحه جهداً عسير ، لا يمكن ان يتم بفعل
الهواء .. »

هنا قاطعته سائلاً :

« لحظة تقول ان وراء الباب ستار قماشى

فماذا وراء الستار ؟ »

هز رأسه ، وقال :

« لا شيء مجرد فرجة تقود الى جدار

وكن ما خطر لى هو ان احدهم يتسلل الى ما وراء

الستار ليدفع الباب من خلاله .. »

« من هو ؟ »

ابتسم فى تهكم ، وقال :

« كثيرون كن اناس تملك حقداً معيناً على

العميلين فى مهنة السبى ، وتتمنى افساد عملهم

قد يصرخ احدهم اتبهراً حين يرى نجمة سينمالية
حسناء ، نكنه فى قرارة نفسه يمتنها ويمنى لها
الفشل . وكل سينمائى حاول ان يصور فيلم فى
شوارع (القاهرة) يعرف جيداً كيف يحاول الناس
جاهدين ان يفسدوا ما يقوم به دونما سبب واضح «
- « وهل وجدت رجلك الحاقداً هذا ؟ »
- « لا .. طبعاً .. »

قمنا بتفتيش الكواليس جيداً ، فلم نر إلا قطعة
ونظفناها الرضع . وقد قام العمال بطردها بالمكنسة
بلا رحمة ..

ثم اننا احكمنا غلق الباب بمسمار محوى ثبتناه
من الخلف ؛ وبدأنا تصوير المشهد المقيت ثالث
مرة ..

« (مرفت) أنت الأمل الذى انتظرته طيلة

حياتى . »

« لا تقل لى هذا قل له (نادية) »

« مستووب ! »

لان الباب تحرك من جديد ، وبغنى يتناسب مع
الإحكام الذى قمنا بتثبيته به ..

ورأيت المصور يضرب كفا بكف ، على حين راح
عمل التصوير يسمعون وبحوقلون ، وقد أركوا
ما أركته أنا ..

ما يحدث هنا خارق لقوانين الطبيعة .

راحت البطلنة تصبح فى هستيريا :

- « أوف ! هذه ليست سينما . هذا ليس عملاً !
نم لا تعلمونهم كيف يصنعون الديكورات قبل أن تهونا
بهم ! »

وكنت معاداً على هستيريا النجمات هذه ، وأجدت
امتصاصها طيلة حياتى حقاً لم أكن قط من
المخرجين الطغاة ..

- « أعرف أن هذا يثير الضيق يا (مدام) . لكن
دعينا نصور هذه اللقطة ، ونسوف أجد حلاً فى أثناء
تقطيع الفيلم »

نفخت فى ضيق ، وهتفت من أنفها :

- « ماكياج ! »

وللمرة الألف مررت الماكياج لتضع المساحيق
على أنفها اللامع ..

ومنى لنا مساعدي - وهو شاب ركن مسيئ
أفلامه الرئيسية يوم ما بالكيفية ذاتها - وهمس
- « لقد انتزعت قوة المسمر المحسوس من
مكته ! »

- « أعرف .. فيما بعد سيكون نديت وقت كاف
لتطهير المكان بالبخور والأوراد ، أما الآن فنسوقت
بغنى مالا .. »

وبصوتى الجمهورى المحبب صحت

- « أكشاه الآن ! »

ومن جديد هزت آلة التصوير . والتمعت مصباح
(الأرك) بعد ما وضعت (شارح) جديد فى الآلة ،
وراح مكبر الصوت الصغير يحذر من عر ، نيو اصل
مهمته ..

- « (مرأت) . أنت الامل الذى انتظرته طيلة
حياتى .. »

هزت كتفها فى ملل كان منها وبعد صبرها
الذيان بدأت التصوير بهما يرتعدان يداها إلى درجة
الإعجال :

- « لا تقل لى هذا . قل لى (ندية) »

« (نائية) ولما مجرة »

ومن جديد انفتح الباب .. انفتح أكثر فأكثر ..
كاشفاً عن الستار القماشى .. ونظر لى مساعدي فى
قلقى ، لكننى أغضضت عينى بمعنى (لا مشكلة هناك) ..
دعوا الأمور كما هى ..

وواصل البطل حزنه ، بينما الباب يواصل اهتزازه
فى مؤخرة الكادر :

« (مرقت) .. لو رفضت حبى سأقتل نفسى .. »
ثم علا أداؤه أكثر .. وصاح :

« سأقتل نفسى ! »

تمثيل ردىء جداً أو مسطح للغاية .. لكنه يؤدى
الغرض ما دام الفتى بحق وسيماً ، لا تكف مجلة
(النجوم) عن نشر صورته ، وتعلقها كل مرافقة
حمقاء فى غرفتها .. حالمة بأن يقتل نفسه من أجلها
هى ..

واستدار ليجرى خارجاً من الكادر ، على حين
نظرت البطلة نحوه فى شك ، ثم صاحت وقد
ترعزت ثقتها :

« (عايل) ! (عايل) ! »

« يستووب ! رالع ! لطبع ! »

كذا صحت أنا وقد راق لى الأداء بشدة .. إنه
ردىء .. لكن لن تجد أفضل منه مع هؤلاء الممثلين
وبهذه الميزانية ..

هنا انفجر مصباحان ، وسمعنا صرخة البطلة فى
الظلام ..

وساد الهرج والفرج ..

لم تكن الحروق فى وجهها مربعة .. مستطبة
سريعاً وتحتفظ بجمالها الذى هو موهبتها الوحيدة ..
وقبل أن تنصرف لدارها ، دعت على بالعمى
والشلل ، ودعت على الاستوديو بالخراب ، واستعملت
الفاظاً يعاقب عليها القاتون ، تعلمتها فى ألفة أجهل
عنها كل شيء .. ثم أضافت :

« لقد كان يوماً أسود من بدايته .. والان يسرنى
أن أنسحب من تصوير هذا الفيلم الردىء .. »

لا .. لا .. كنه إلا هذا ..

« والعقد ؟ والشرط الجزائى ؟ »

فى لهجة مسرحية فخيمة صاحت :

- « بته واشرب ميته ! »

وغدرت المكس ، وقد حوت الضمادات وجهها إلى ما يشبه لاج (بوريس كارلوف) في أفلام (المومياء) التي اسرت رعباً شديداً لفترة لا بأس بها ..
صاح مساعد المخرج وهو يرتجف رعباً :

- « إته الخراب ! »

- « ب بنى أنت حديث عهد بالمهنة .. لقد مررت بها الموقف مرة مرة ، وفي كل منها كانت المياه تعود لمجاريها بمجرد أن ينصح المنتج بزيادة الأجر ..
دع الأمر لي وعُد لي النقطة التي لا تظهر فيها هذه الحداثة .. سنقوم بالبدء فيها غداً .. »

في الصباح يقف حيدر الاستوديو أشياء غريبة حقاً ..

الرجل مبهز منوتر الأعصاب ، يقسم أن هذا الباب ظنر يفتح ويعشق طينة النيل ثم إن أضواء الاستوديو المنطفة راحت تنوهج كلها مراراً ، ويقسم كذلك أنه سمع أب منصلاً من وراء الباب ، وفي كل مرة كان يفسده ويتحقق ، ثم يدور حول الستار

القماشى ليتنصت لكنه في كل مرة لا يجد سبباً - « الصوت يا أستاذ كان قدما من كل مكان ولا مكان كأنما الجدران ذاتها تنبأ »
تأملت شاربه الفليظ ووجهه الأسمر الخشن ، وقتت وأنا أبتعد :

- « يبدو أنك صرت شاعراً على كبر ، واحسرتاه على حال الرجال .. »

صاح محاولاً جعلى لسمعه :

- « أنا لا أخرف والله على ما أقول شهيد ..
لكني كنت قد ابتعدت .. »

ودعاني المونتير (عباس) كي أرى معه (الراشز) Ruxes ، وهو مصطلح يعنى اللقطات التي تتم تصويرها اليوم السابق ، ومن المعروف أنه لا وقت لدى لمتابعة عملية تقطيع الفيلم يقولون . إن هذه فرصة رائعة ثمخرج ليعيد إخراج فيلمه مرتين ، وأفضل مخرجي العالم هم من بدعوا مهنتهم في غرفة (المونتاج) مخرجين على غرار (ديفيدنيز) و (صلاح أبو سيف) و (كمال الشيخ) .

نرى من قبل انى اريد ان اكون افضل مخرج " فقط
اريد ان اكون احج مخرج اسرع مخرج اغنى
مخرج .

وفى عرفة (الموناج) - التى أمقتها - وضعوا
أمامى كوبا كبيرا مليئا بالقهوة على حين جلس
(عباس) يدير آلة (الموفيو لا) التى تعمل ببدا
صغير ، وتبج لك روية المشهد على شاشة زجاجية
صغيرة ..

كانت تلك النقطة التريهة التى يصر الباب على أن
يفتح فيها فى كل مرة .. لدينا أربع نسخ منها ، وإن
كانت أول ثلاث نسخ غير مكتملة ، لأن صونى كان
يقطع المشهد فى لحظته الأخيرة .

فقط الساحة الرابعة كانت كاملة ، وحتى مشهد
هروب البطل من الكادر مصمما على الانتحار .

وفى هذه المرة انفتح الباب بالكامل ، واستطعت
أن ارى من يقف فى فتحته ، واقفا خلف البطل
إذ يتكلم ..

- « من هذا ؟ »

كان هذا سؤال المونتير ، فلم أرد لم يكن هناك

جواب ..

ملاح الرجل غريبة حقاً . عيناه جاحظتان مليتان
بالذعر .. شعره منتصب كأشواك قنفذ ، وها هو ذا
يضع كفيه على جاتبي رأسه ويصرخ . طبعاً صرخة
صامتة لم يسمعها أحد ..

وانتهت النقطة هنا ، إذ غادر البطل الكادر ،
وصاحت البطنة بتأديه .. ثم صحت أنا بدورى أهتلهما
على روعة الأداء ..

وتبادلت النظرات مع المونتير أمام الشاشة الفارغة ..
- « من هذا ؟ »

كرر سؤاله للمرة الثانية .. فقلت بصوت مبحوح :
- « لا أعرف . ولم يره أحد فى أثناء التصوير . »
ولبتعت ريقى ، وأردفت :

- « هذا هو الشيء الذى كان يفتح الباب فى كل
مرة .. لقد عجزت عيوننا عن رؤيته ، لكن خامسة
الفيلم الحساس استطاعت ذلك .. »

وانشعر جلدى لهول الفكرة ..

لقد نجح الفيلم الخام فى الالتصاق قليل مادي
عنى ... عنى ..

رباه !

١٤٥

(م ٦٠ - ما وراء الطبيعة عدد (٤٠) وراء الباب المغلق)

ماذا يوجد خلف هذا الجدار ؟

كانوا يراجعون تصميمات القديعة لاشيء سوى
غرفة دارعة كانوا يستخدمونها قديما للمحولات ،
ويحرقون فيها مواد كهرباء . ثم تم إلغاؤها منذ عدة
أشهر .. وسنوا بابها بالقرميد ..

كل مدير الاستاسو مشكك كارها ؛ لكنى كنت
مصريا ، ووعده من احد ترميم الفتحة على نفقتى
الخاصة

وعند العصر جاء ثلاثة رجال ، قاموا باستعمال
المصارق و دار الحسنية شهشيم ثغرة فى القرميد .
ثم دسح سدى من واحد لا أكثر

وبعد نصف ساعة خرج اصغرهم حجما من الفتحة
حاملًا كشافا ضوئيا ..

طبعا سمعناه يصرخ ..

هذا مفروغ منه وكنا نتوقعه ..

وتم إجراء تحقيق سريع فعرف الكثير .

لقد حدث هذا فى باب النينة التى كان البنساءون
عائدين فيها على سد باب حجرة التوليد هذه .

إهمال مقصد حدث . لقد عاد العصر الى بيوتهم ،
وترك فى الكهرباء بعض الأسلاك العريضة الحظرة
وفى النيل تسيل متشرد من ليل . حر الحجرة غير
عالم بأن نهايته تنتظره فى ضعف
فى الصباح جاء فى الكهرباء حدد حنة متحشية
على الأرض ..

لقد حاول المتشرد ان يدم طول فئس عشرين
لسلكين غليظين ، والنتيجة هى انه يعدم . ثم يجد
الوقت الكافى ليصرخ ..

وهنا اتخذ للكهربائى قراره ..

لا أحد يعلم ما حدث . لا أحد يعرف هوية المتشرد
لن يبحث أحد عنه . يمكن - شىء من التفسير - أن
يفلت من تبعات الإهمال الجسيم هذه

وبسرعة أدخلت الكهرباء العرقة من غير ما يعت
للكهرباء ، ووارى الجثة المصيبة فى ركس مظلم
وغطاها بالخرق القديمة . ثم خرج ينفج جوار
الفتحة بانتظار عمال البناء حين يحسبون

وخلال نصف ساعة ارتفع القرميد ، انسحب باب العرقة ،
وتحول المكان إلى قبر دائم للعرب . الذى لم يرتكب

خطأ سوى محاولة النوم تحت أول سقف وجده .
لم يكن فنى الكهرباء قد أخبر أحدا بسرّه ، لكنه
انهار سريعا حين استجوبناه ، وحين أحسن بأن
جريمته لم تمت بعد .. هناك أشياء لا يمكن دفنها
تحت التراب مهما حاولت ..

يمكن بشيء من الخيال أن نقول إن شبح القتل
- مجهول الاسم - أحسن بالباب الذى وضعوه أمام
الجدار . كان بابا وهميا ، لكنه افترض أنه يقوده
إلى الخارج .. إلى حيث يعرف الناس المأساة غير
الضرورية التى جعلته يفقد حياته ، ولا يحظى بدفن
لائق ..

لقد نجحت خطته .. وإن تكتم الاستوديو كل شيء
حتى لا نساء إلى سمعته ..

وحينما قمنا بتوسيع الفتحة ، ودخلنا الحجرة
المنسية ، كان ما رأيناه هو كومة من الخرق البالية
فى ركن مظلم ..

أزحنا الخرق .. فوجدنا هيكلًا عظميا يرتدى بقايا
ثياب متفحمة ..

إن الجماعم تشابه بالتأكد . والفارق بينهم
لا يعرفه سوى طبيب شرعى ..
لكن من شاهدوا فتحتى العينين فى تلك الجمجمة
بالذات ، شعروا بأنهما يحملان اتهاما صامتا
اتهاما لنا جميعا ..

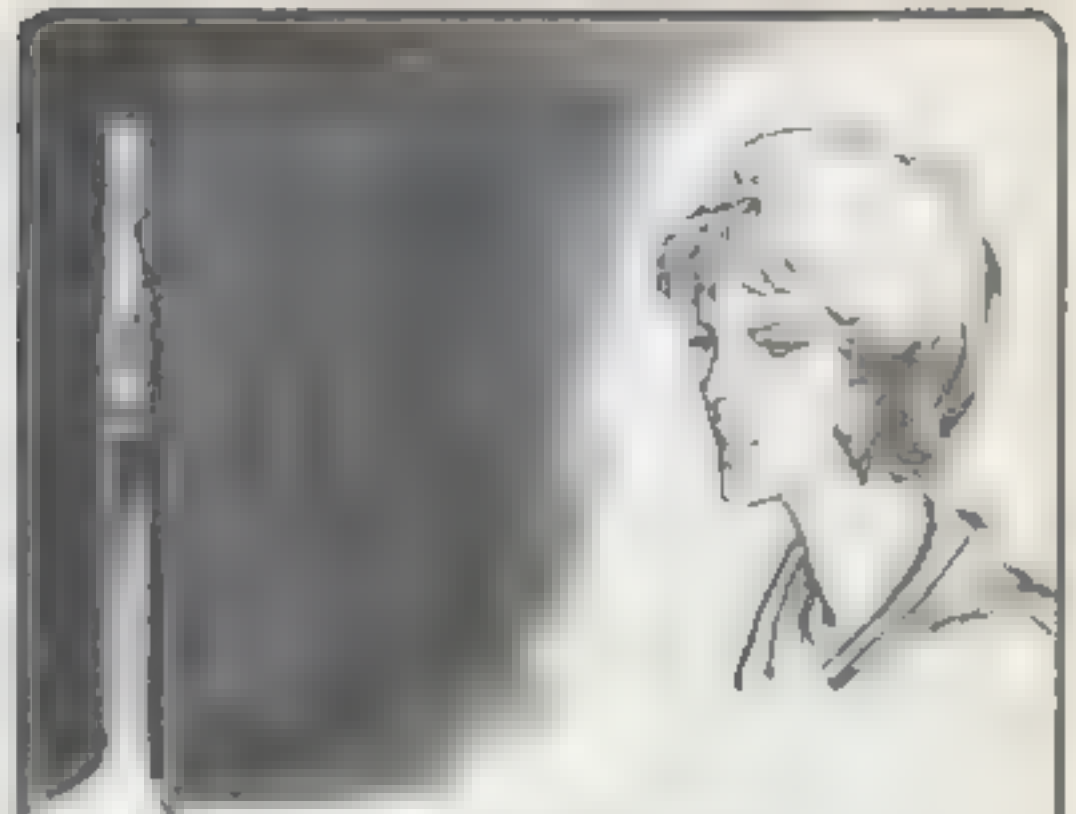
قالت مدام (ناهد) وهي تتعجب :

- « بالله عليك ' يا لها من طريقة لإمضاء
الأمسية ' لقد أقسر جدى من هذه الإقاصيص ،
واتنى لأتساءل عن صاحب هذه الفكرة »
قلت فى كبرياء :

- « يا له من سؤال ! إبه أنا طبعاً .. »

ابتسمت وتأرجح رأسها كالم ثمنى دون طلا ،
والحقيقة هى أن الساعات التى أمضيها هنا جعلتني
أقل كراهية ومقناً لهؤلاء القوم ليسوا بانسحق
ولا النفاهة ولا الإملال الذى حسبه يمكنك ان تحب
أى إنسان - ولو كان إنسان (نياندرثال) - إذا أمضيت
معه وقتاً كافياً ، وسمحت لوجهه البشرى أن يلمس
روحك .. حتى المخرج الأحمق والشاعرة التى تمقت
الجميع كل هؤلاء يحملون طاقة إنسانية ما ، وحين
تدنو منهم تدرك أنهم ضحايا كسواهم

قالت مدام (ناهد) وهي تنظر لضوء الفجر
المتسرب على حياء من الخارج :



الباب الخامس

« كلوستروفوبيا »

تفتحه .. هيام ،

« لا تكوى بلهاء يا «هيام» ، يجب ان تخرجى
من هنا او تجدى خطة ما ، قبل ان يتكفل الظلام
الدامس بشل حركتك نهائياً .. »

« لقد سميت ما نحن فيه تصور هذا !
اندمجت في القصص حتى غابت عني تماما حقيقة
موقفنا . وما ينتظرنا من علامات الاستفهام إن
فكرتك لم تكن رديئة تماما يا د . (رفعت)
في هذه اللحظة بدأت (هيام) - ممتتنا الصاعدة -
تفتح عينيها . لقد صار شكلها جديرا بهذه الدقيقة
دقيقة الاستيقاظ من النوم . جفنان منتفخان ، وشعر
مكوش ، ونظرة معادية كارهة للنور . وبين شفتيه
راحت تلوك ذلك الطعام الفمض الذي ينوكه النيام
جميع

راحت ترتجف قليلا ، فتهدت نراعيها على صدرها .
وقالت إنها تشعر ببرد شديد ..

بعد ثوان غمغت كالأطفال (عطشانة) ، فجنب
لها (محمود عوني) بعض الماء في كوب من ورق
تشعبت وتساءلت عن الساعة . فأخبرناها . لطمت
خديها غير مصدقة . واحتاج الامر إلى عشر دقائق
كي تعود لصوابها ..

قلت لها بلهجة أمرة :

« هيا .. قصتك ! »

صاحت في رعب :

« ماذا ؟ »

« قصتك مع الباب المخيف ! »

قال لي الأستاذ (محمود) في رفق

« صبرا يا د (رفعت) المسكينة تصحو من

النوم في مكان غريب ومع غرباء . لتجد من يأمرها

بأن تحكي قصة عن باب مخيف ! »

« إيه الحماس كما تعلم .. »

أخيرا عد للفتاة وعيها - يالها من بهاء -

وهرشت شعرها بطريقة غير رومانسية بثمرة . ثم

قالت بعد ما تشاءت كفرس النهر :

« لدى قصة دعوني أحكي لكم »

قالت (هيام) :

« يقولون إن حوادث الطفولة أشبه بالحدوش

التي تترك على سطح لين من الأسمنت . سرعان

ما يجف فلا تمحى الخدوش أبدا ..

يقولون ان كل عقدنا ونحن بالغون ، بدأت في

طفولتنا ..

يقولون يقولون

ولحسبهم صادقين في هذا كله ..

في طفولتي قرغت خطا .. حقا لا اذكر ما هو
لكنه كان هينا بالتاكيد ، وما هو الخطأ غير الهين
الذي يمكن أن تفرقه طفلة في السابعة من عمرها ؟
كنت هذا في بيت عمتي ، وكانت سيدة صارمة
تومن بن الأطفال (لازم يتربوا) ، لهذا اعتصرت
لحم دراعى في عر بين إبهامها وسببتهها وراحت
تصعط وتضغط ، وهي تكشر عن أسناتها
ثم دون مدافعة جرتى جرا الى السطح حيث (عشة
الفراخ) الحالية ، من بعد ما فتكت (الشوطة) بما
فيها من دجاج ..

كنت الممكن قدرا ، وفصلت الدجاج في كل مكان ،
لكن الأسوأ هو انها احكمت غلق الباب على من
الحارج لأجد نفسي وحيدة في الظلام (كان الليل قد
جاء) ، دون بصيص من نور يتمثل من الست
المخصص لتهوية وسمعتها - وسط صراخى -
تبتعد زاحفة بخفيها النقيضين

فقط قالت في لهجة محيدة تماما

- « لازم يتربوا ! »

وكذا وجدت نفسي أصرخ وأصرخ أضرب الجدار
الخشبي بقدمى برأسى وفى ذهنى تجمد كل
شئ .. حتى (العدو) الذى كنت يتحين فرصة كهذه
ليخرج ؛ أصابه الهلع فوقف فاردا كفيه عاجزا عن
الكلام ..

وبالنسبة للأطفال لا يوجد سوى المطلق هم
تركونى هنا ، لذا سأظل حيث أت لأبدا لن أرى
النور ثانية

وبالنسبة للأطفال - كذلك - لا يوجد إحساس
بالتزمين . لذا يصعب أن أقول كم لبثت بالنسبة لى
بدا لى أن هذا امتد قرونا ، وبالنسبة لآبى بدا أننى
لبثت ساعة ..

لقد عاد ليجد أننى سجينه فى (عشة فراخ) فوق
السطح فى الظلام ، ولم أدر كيف وجدت نفسي فى
حضنه وهو يعتصرنى بقوة ، ويقول مفضبا لعمتى
- « فى (عشة الفراخ) يا (عنایت) " ماذا
فعلته كى تستحق كل هذا فى غيابه ؟ " »

ولم اسمع ما قلته عملي بالتفصيل . تكفى ميزت
آخر عبارة قالتها ألا وهى :
- « دول لازم يتربوا ! »

حسن كانت هذه هى الخبرة العظمى فى طفولتى .
وكانت بداية مرض (الخوف من الأماكن المغلقة)
الذى لم أشف منه قط ..

فيم بعد قال لى الأطباء . إن مريض (خوف
الأماكن المغلقة) لا يستطيع تذكر مناسبة معينة بدأت
فيها شكواه . كلهم يقول : لقد وُلدت هكذا
لكن - فى حالتى هذه - كانت تجربة الطفولة واضحة
وضوحاً مدرسياً يثير الانبهار ..

وفيم بعد عرف الجميع أنى لا أحتمل أن ينطق باب
على ، وفى الصف كنت أصرخ هلع لو خرجت كل
الطالبات وتركنتى وحدى . كما أنى فى الحمام كنت أترك
الباب نصف موارب برغم أن هذا غير لائق ، لكن فكرة
الباب المغلق كانت تتحدى أى حيء ، واعتدت زميلاتى أن
يعابثنى بأن يفتهن أو فرصة ليفتقن على أى باب ، لكن
رد فعلى كان فى العتاب شرس يثير اتلعق فى نفوسهن

كبرت وبدأت أميل إلى فن التمثيل .. لا أدرى لما ،
لكن يبدو أن هذا نوع من العلاج الذاتى .. ولهذا لم
أعد أدهش حين أسمع عن الفرق المسرحية فى
المصحات النفسية . إن التمثيل علاج لا بأس به ..

اشتركت فى مسابقة للوجوه الجديدة ، وكان لى باع
فى الفرق المسرحية الإقليمية ، ثم أرسلت لى مجلة
(النجوم) خطاباً تدعونى فيه إلى مقابلة شخصية
تتكون من عذة ممثلين وأستاذ مسرح عجوز ..
وكما يحدث فى الأسر المتوسـ . المتحفظة ..
ذهبت مع (بابى) وأخى طيفاً .. و ..

هنا تدخلت ، لأنى لم أستطع منع نفسى :

- « تعين - (بابى) أباك طيفاً ؟ »

- « هه ؟ ماذا تريد ؟ »

- « الذى أيقنك من المسجن لى (عشة الفراخ)

وأنت طفلة ١٢ »

- « د . (رفعت) .. لا أفهم ما ترمى إليه ..

- « لا شىء .. أكملنى قصتك .. »

قالت (هيام) وهي ترمقني في لوم :

« حبيب العمارة نسخصية بنجاح ، وأديت مشهدا قصيرا من هند - (فاس حمامة) حفظته عن ظهر قلب الحق أني كنت محظوظة ، لأنني نلت قلوبهم وقبولهم من لحظة الأولى . وعرفت أنني نجحت .

بعد هذا ترويت مرارا على مكتب المنتج الذي رشحودني و عديس (سيماريو) رديا لم يرق لي قط ، لكنه حيرس - في ذلك - أني لا أمك بعد الحق في الرافض ..

وقال Take it or leave it (خذيه أو اتركه) ،

لكن حد من يلزمك فرصة أخرى

كان الاعراء سدد ان لري وجهي مجسما على شاشة السبيل المعقدة وعلى المنصقات . إنها المحفة التي ينفق فيها امرء عن أن يكون شخصا عابثا . ويبدو أني رمر مصق كتحق والخير والجمال

كان على ان في . وضنت ان ان أصل إلى درجة من القود نتيج من الاحتمار لكن هذه اللحظة لم تأت قط ..

وجاء اليوم الذي وقعت فيه امد العسة . و الدوتس (يلاحق حركتي ، بينم الاصواء المسطرة تتكشف كس تعبدة وكل خنجة في وجهي الحق انه تسعور رهيب ، ولا داعي لان انور اني فهدت الوعي في المرة الأولى ..

لكني - ببطء - بدأت اتخذ صورة النجمة متوسطة الشهرة . وكان التعليق اني يلاحقني لا بتعبير فكة بارعة الحسن لكنها بلا موهبة . وصوتها مشروخ ، ووجهها له كل القدرات المعبرة التي يمكن ان تجدها في وجه الحصان ..

وضمت (هيام) شففت ونظرت سقف كنما تتذكر ، فحفظت قلبى ، لانها في هذه اللحظة بدت ك (ملجى) تماما .. قالت :

« لا يهم لقد صرت شهرة . وظهر وجهي ثلاث مرات على غلاف مجلة (النجوم) . وصرت لي شقة في (جاردن سيتي) سهر عيشه مكنمات المعجبين والمعجبات ..

لكن داء (الامكن المعمة) لم يتركني لحظة

قالت (هيام) :

- « كان اسم الداء كما وصفه (مراد) معالجي هو (كلوستروفوبيا) وهو مكون من مقطعين (كلوسترو فوبيا) يقولون إن معناها (زهاب الغرف المغلقة) .. وقد حفظت الاسم بلا عسر لأننى كتبتة فى كل أوراقى ، وعلى كل جدار من شقتى ..

أنا مصابة بالـ (كلوستروفوبيا) .. قلتها لأمى فضربت بكفها المفتوحة على صدرها ، وصاحت :
- « يا لهوى ! لا تقولى هذا علناً يا مجنونة وإلا لن يتزوجك أحد !

كنت دوماً أحذر من الخروج للمدرسة دون إفطار !

ظهر (عادل) فى حياتى بعد ما عرض فيلمى
الثانى .

تعرفته فى حفل بعيد ميلاد إحدى الصاعدات مثلى ..
كان مهذباً له كل الصفات التى يمكن أن تصف بها
رجلاً وسيماً ، لكنه - لا أبرى السبب - بدا لى سمجاً

يتظرف نوعاً ، وفى طبعه شىء من طبائع
الذبابه ..

كان يلاحقنى دائماً ، وله طريقة معينة يلتقط
بها خيوط أية محادثة تخصنى ، ليتدخل فيها
بالإجابة والتعليق كلما هو مندوبى الصحفى أو خطيبى
مثلاً ..

كان يهيم بى حباً ، لكن هذه مشكلته لا مشكلتى .
لست مطالبة بأن أحب كل من يحبوننى ، وإلا لقضيت
حياتى دون شاغل آخر ..

لكن الفتى صار كابوساً دائماً . ما من حفل
أو مكان لرتاده إلا وأجده . وحتى فى أثناء التصوير
فى الاستوديو كنت أجد وجهه السمج يبتسم لى ثقة
مشجعاً لى .. ومن نافلة القول أن أقول إنه كان
صاحب علاقات عديدة فى الوسط الفنى ، ولم يكن
وجوده مستغرباً فى أى مكان . باختصار : لا مفر
منه ..

(*) على سبيل التحدث خطيبى لا تنطق إلا مع كسر الحاء
وتشديد الطاء !

في النهاية استسلمت وتركته يحيط إصبعي بخاتمه
الذهبي في حفر خطبة كن حديث الصحف وقتها .

لم أكن سعيدة على الإطلاق ..

المفترض أن تسعد الخطبة أية فتاة ، لكني لم أعد
أية فتاة . لقد صرت رمزا كما قلت ، ومن حق
اختيار أي شاب في أية لحظة يحظر لي هذا ، وعليه
أن يرقص فرحا وفخرا ..

ما أتذى يرغمني على معرفة هذا المهندس ثقيل
الظل " أنه لا يعرف سوى الإعجاب بنفسه ، ولا يملك
من الأفكار إلا كل ما هو قريب ومطروق وممل ..
وكنت أن محرد ديكور أنيق يجمد به نفسه

وجاء الاوان الذي صارحته فيه بأننا لا نصلح
لبعضنا

كان طفلا عنيدا اعتاد الاستحواذ على كل شيء ..
لم يطق أن تتحلى عنه دميته الجميلة .. الأطفال
ينفون العاهل من الشرفة حين يملونها ، ولم يحدث
قط أن التفت دمية بطف من الشرفة

وكما توقعت توهج العضب في عينيه . غضب
وحشي ، وهتف :

- « لا يا (هاتم) ! أنا لا يسهر الخلاص مني .
لن يكون ذلك إلا بإرادتي واختياري ! »
ثم فرد نراعيه في دهشة تمثيلية :

- « ثم ماذا يقول أصدقائي عني ؟ لقد تركته
النجمة الكبيرة . لأنه لا ينسبها ؟ ما هي الصورة
التي سيتركها انفصال لديهم ؟ »

كنت أرتجف خوفا . لكني كنت في ثبات

- « (عادل) أنا اتحدث عن مستقبل . وليس
المستقبل رهنا بنزوات المجاننة ، وقد أغلقت كلماتك
هذه باب الرجعة لو كان هناك واحد ! »

ووضعت الخاتم في كفه دون كلمة ، عندها ابتسم
بخبث ، وقال :

- « باب الرجعة ! إن هناك أبوابا مغلقة أخرى ! »

كانت كلماته كنبوءات العرافين الغامضة ، التي
تتضح سطورها فيما بعد . ولم أفهم هذا إلا في وقت
متأخر جدا ..

هاتذا لركب سيارتي الجديدة عائدة من الاستوديو
بعد انتهاء التصوير . النصيحة التي يقولونها دائما
للأنثى سائقة السيارة هي :

- « انظري جيدا تحت المقعد الخفى قبل أن
تقودى . نصيحة جيدة لكنى نسيتها ..
ها هو ذا من يقول لى : توقفى !
أوقفت السيارة على جانب الطريق ، وأقول فى
دهشة :

- « (عادل) ! كيف تسلت إلى سيد ... ؟ »
وفى اللحظة التالية هوى شئ ثقیل على مؤخرة
عنقى ، وساد الظلام ..

الان اصحو لأجد نفسى على أريكة قديمة مهترنة ..
الغبار فى كل مكان ، غرفة ضيقة تماما .. هذا
ما استطعت أن اراد على ضوء متراقص لشمعة مثبتة
على المسند الخشبى للأريكة ..
أين أنا ؟ ماذا حدث ؟

طبع من الواضح أننى مخطوفة .. وخطفى هو
(عادل) طبعا ..

يا له من أحق ! يظن أننى بهذا سألین ؟ لعله
شاهد فيلم (جامع الفراشات) حين قرر البطل المختل
عقليا أن يحتفظ بحبيبته فى داره مع مجموعة

الفراشات الخاصة به ، والعرب انها بدأت تمير اليه
فى النهاية . لكن (عادل) أحق بتأكيد
ستنقب الدنيا بحثا عنى . ونسوف يكون اسمه
هو اول اسم فى قوائم الشرطة . لأن قصة انفصالنا
وتهديده على كل لسان

ماذا يرمى إليه هذا المدلل ؟
وكن ان وجدت ورقة موصوعة بعنقبة على
الأريكة ، نجيب باختصار على كل أسئلتى
رحت افروها فى ضوء الشمعة والارتحف
- « حبيبتى ..

« ما كنت تصور ان اعمت (بهزد) الطريقة
يوما ، لكك قد لرعنسى على (هادا) [سأحاول
ان اتجاوز عن احطاء النعمه ما دمتم تعرفون ان
(عادل) خالى العقل وجاهل] ..

« حين تطلعين هذا الحظ ، سيكون فى طريقى
إلى (بيروت) لاسنحم بعض الوقت ، وهو وقت قد
يطول حقا ..

« هذا البيت يحص قريب بعيدا لى . وهو مفتق منذ
اعوام ضوال ، لكن قانيير يعرفون ان مفتحه معى .

وهو بعيد تمامًا عن العمران .. وبلا جيران على الإطلاق ، وآيل للسقوط بشدة ..

« ستجدين الكثير من الطعام والمعلبات ، وصنوبراً يمدك بالماء لأنى لا أريد لك أن تموتى جوعاً أو ظمأً .
وماذا عن الموت رعباً ؟

« هذا وارد بالتأكيد . فقد عرفت جيداً خوفك من الأماكن المغلقة ، وأنت الآن فى أكثر الأماكن انغلاقاً فى الأرض . هذه حجرة ضيقة قمت بإحكام غلق بابها ونافذتها الوحيدة . والبيت كله عتيق متهاك ، لا يمكن المشى فوق لوح خشب دون أن يتهشم إلى نصفين ، ولا يمكن الوثب فى المكان دون أن يتساقط المصيص من السقف على رأسك ..

« لقد تعمدت التأكد من عدم وجود ثعابين أو فئران كى لا أكون قاسياً ، لكنى سأتركك تستمتعين بحق بزهد الأماكن المغلقة كما تسمينه . وستطول فترة استمتعتك كثيراً جداً ، لأن أحداً لن يبحث عنك هنا .. سيبحثون عنى ليستجوبونى ، لكن كيف يجدوننى فى (بيروت) ؟

« سأعود يوماً ، وعندها من يدري ؟ ربما يكون

كبيرياوك المرضى قد تهاوى بعض الشيء ربما يمكننا الكلام عن مستقبل مشترك

خطيبك (عادل)

ما إن قرأت الخطاب ، حتى تلاحقت أنفسى ، وشعرت بالشعور المعتاد فى هذه المواقف - الاختناق الحاجة للهواء التى تدنو من الذعر . ونظرت فى هلع إلى الشمعة .. إنها الوحيدة هنا .. سيسود الظلام بعد وقت قد يطول أو يقصر ، لكنه أت لا محالة .. وعندها

طار قلبى وعقلى شعاعاً ، ورحت أبكى وأصرخ .
أصرخ وأبكى ..

ومن جديد - كما فى طفولتى - رحت أضرب الجدران مولولة طالبة الغوث . أنا لم أفعل شيئاً .
لم أفعل شيئاً !

« دول لازم يتربوا ! »

لشعير الوقت حيث ندمت رحت التوسل الى
عمري نسي تطلق سرحي اتدي ابي احسنى
فضلات السراج على الارض ، ثم اتوب الى رشدي
فأنادي (عادل) ..

وبعد ساعة رقدت منهكة لرتجف ..

كانت الساعة بنونية لحسن الحظ ، كانه من
شموع الرفاف ، وفدت ان امامي ساعة اخرى انعم
فيها بنورها المخيف ..

ساعة .. و ؟

من استمر هذه الساعة ب نرى ' بالساكيد (عادل)
اشعنه جوارى ، ثم فر من المكان قبل ان أفيق ،
واوصد الابواب بعدية هل يعنى هذا ان الوقت كان
ضيقة امامه في أثناء عملية حصارى ؟

حملت الساعة في يدي ، وامرت نفسي بالتماسك
لا تكوس بنهاء يا (هيام) يجب ان تخرجي من
هنا او تحدي خطة ما ، قبل ان يتكفل الظلام الدامس
بشل حركتك نهائيا ..

كانت الحجرة صيفة - كما قال - بها - فذة موصدة
بعناية ، وقد ثبت عليها نوحان من الخشب بعدد من

التماسير بطرق الحسن بونم اجد (بسمة) ههنا
لكان هذا السبيل مستحيلا ..

يوجد باب باب عتيق الطراز لا يبدو بهذا
التماسك ..

لقد اعلقه (عادل) بقطعة خشب رقيقة واهية
وكن من الطراز الذي يفتح للخارج يبدو هذا حلا
لا بأس به ..

ونظرت في الحجرة حولي بحثا عن جسم خشبي
او ثقيل كانت هناك في طرف العرفة مكتبة مسحة
مغطاة بالغبار ترتفع الى مترين ، امامها مقعد خشبي
يبدو ثقيلًا إلى حد ما ..

قمت ب تثبيت الساعة الى الأرض وانطرت حتى
انتظم وجهها ، وبدأت اتحرك في رقعة الضوء الحافة

حملت المقعد الخشبي بكثير من جهد ، واتجهت
الى الباب ، و بوم ' دوى الصوت كالعجار في
الغرفة الضيقة وبدأ الخشب يذعن قليلا ضربة
ثانية ثم ثالثة ..

توالت الضربات ، وأملى يزداد ..

أخيراً بدأ الباب مترنحاً بانتظار الضربة الأخيرة
التي تقهر عياده ، وهي ضربة تحتاج إلى اندفاع .
ربما محاولة بالكثف كما يفعل المخبرون في السينة
حين يقتحمون وكر عصابة ..

تراجعت للوراء وأخذت شهيقاً عميقاً و
ثم لفت نظري شيء معين ..

كان هناك باب وراء المكتبة !

باب ثان بالغرفة حاولت المكتبة أن تداريه لكنها
لم تستطع ظل إطاره بارزاً إلى جانبيها وهذا
ببساطة - معناه أن هذا هو الباب الحقيقي ،
وإلا فلماذا دُراهِه (عادل) ؟

سؤال جديد : كيف خرج (عادل) من هذه الغرفة ؟
النافذة والباب كلاهما مغلق ومحكم من الداخل ، ولو
خرج من باب تداريه المكتبة ، فكيف عادت إلى
مكاتبها بعد رحيله ؟

إجابة منطقية : (عادل) في مكان ما في هذه
الغرفة ، ربما يتوارى في مخبأ سرى أو وراء الأريكة
أو لا بد أنه كذب بصدد السفر إلى (بيروت) ..

وهذا يفسر الشمعة المضاءة بجواري .. لا بد أنه كره
ألا يرى منظري مذعورة .. برت حول الأريكة في
توجس لأرى ..

ولم أجد الوقت الكافي لأصاب بالذعر للاكتشاف
الرهيب ؛ لأن (عادل) وثب بالفعل من وراء الأريكة ،
صالحاً :

« مفاجأة ! »

كان يحمل مطرقة في يده

وهكذا أطلقت صرخة وتراجعت للوراء ، نحو الباب
الذي أوشكت على اقتحامه .. وأرسلت أن أحاول الآن
لقد جن الفتى . جن تماماً . في ضوء الشمعة بدأ
لي كشيطان رجيم يريد تهشيم رأسي ..

اندفع نحوى فتراجعت مبتعدة عن الباب ، وفي
ال لحظة ذاتها لم يستطع التوقف اندفع نحو الباب
كثور هائج ، فلم يتحمل الباب هذه الضربة الأخيرة
وانفتح للخارج ..

وسمعت صرخة رعب هائلة ، ثم اختفى (عادل)
من أمامي ..

ومن حياتي أيضاً ..

كنت واقفة لرتجف أمام الباب المفتوح . أرمى
الهاوية التي سقط فيها .. لقد كانت شرفة ! شرفة
سقطت منذ زمن .. لكن بابها ظل هناك . وكانت على
ارتفاع ثلاثة طوابق من الطراز القديم أي ما يعادل
سنة طوابق من الطراز الحديث !

والهواء قد اصطبغ بلون الفسق المهيب
كانت الشرفة تطل على قناء فسيح ملئ بالمهملات ،
وبعض برك الماء الأسمن ، ووسط القنورات وجدت
جثة (عادل) وهو يرمى السماء غير مصدق
ما اقتهت إليه دعايته ..
ولرتجفت في هلع ..

هذا المصير كان بانتظاري لو حاولت اقتحام الباب
المغلق ..

(عادل) كان يتوقع هذا ويتمناه ، وترك لي شركاً
متعمداً هو لوح الخشب الواهي على الباب ، ليفرني
بالمحاولة ، بالطبع بعد ما أعد الباب لينفتح للخارج
كان يلاعبني كقط يتسلى بروية محاولات فأر
للتخلص .

★ ★ ★

اندفع نحو الباب كثور هائج ، فلم يتحضر الباب هذه
الضربة الأخيرة وانفتح للخارج .



وحين استطعت أخيراً ان أزيح المكتبة الثقيلة ،
استطعت ان امد يدي إلى مقبض الباب وأفتحه في
حذر ..

افتحه متوقعة الأسوأ ..

لا شيء سوى درجات تفودنى إلى أسفل لقد
نجوت ، ولقى (عادل) مصيراً لم يتوقعه قط ..
والأقسى هو اننى نزلت إلى الشرطة كى لا أسبب
شوشرة الممرل متهاك و (عادل) يملك مفتاحه .
لقد حدث خطف جسيم يا سيدى . لقد نسى أن الشرقة
لا وجود لها .. هذه الأشياء تحدث ..

من يدري " ربما اتحرر بسبب فشل قصة حبه
لممثلة حسناء تدعى (هيام) هل تعرفها ؟ إنها
جميلة جداً لكنها لا تجيد التمثيل .

حقاً ما أخطر ما قد ينتظرنا خلف باب مغلق !

« نول لازم يتربوا ! »



الباب السادس

« أمنية واحدة »

تفتحه مدام « فاهد »

« تفرزت من الفكرة ، لكنى تفرزت أكثر من أن
ينفتح الباب ، لأجد هذا الشيء المقيت أمامى .
ترى لماذا قبلت المبيت ها هنا »

الآن يمكن القول إننا في النهار ..

الصوء الأبيض الساطع النقي يتسرب من كل
الستائر ، وتلك الدغدغة في أذهاننا جميعا تجعل
الرؤية مشوشة والخواطر مضطربة وقال (محمود
عوني) ناظرًا في ساعته :

« لقد قضينا الليل بأكمله ها هنا تصوروا
هذا ! »

لكن أحدا لم يتصور لأن هذا هو ما حدث فعلاً ..
ونهضت متثاقلاً لافتح نافذة وأنظر إلى الخارج عبر
القضبان الحديدية سعلت مرتين بسبب الهواء النقي
الذي لم أعتده من قبل ، ثم عاودت النظر . حقاً هو
منزل معزل تماماً ، ناء عن العمران . ومهما
صرخنا منادين لن نسمعنا أحد

قلت دون أن ألتفت .

« لقد دنا موعد خلاصنا . حتماً سيحدث شيء

في صالحننا .. »

قل المطرب الزنهان بصوته المبحوح :

« حان وقت سماع قصتك يا د. (رفعت) .. »
« أفضل الانتظار للنهاية .. إن قصتي رهيبه
بحق ، وأفضل أن يكون النهار قد أعلن كامل منكوته
حتى لا تكلف أعصابكم .. »
« إذن هو دور مدام (ناهد) ؟ »
« لو سمحت بهذا .. »

جلست مدام (ناهد) .. وأصلحت وضع شعرها
المستعار الخزفي على رأسها ، وكان قد اتخذ كل
الأوضاع الممكنة منذ بداية المسهرة ، حتى لم يعد
شعراً مستعاراً ، لكن عمامة على رأس (مهراجا)
هندي مخبول ..

قالت بعد شهيق عميق :

« حقاً كانت لي قصة مع باب مغلق .. لا أدرى
إن كانت مخيفه .. لكنها بالتأكيد شائقة .. »

الباب الأول كان يدارى سرّاً شيطانياً لمحن شهير ..
الباب الثاني كان يدارى غريباً اتضح أنه ليس كذلك ..
الباب الثالث كان سبب فشل جريمة ..
الباب الرابع كان يخفى انتقام شبح من قاتليه ..

الباب الخامس كان شركاً مميّناً ..

أما بابى أنا فكان يختلف كثيراً جداً

كان هو تجسيد كوابيسى كلها .. ولكم تمنيت

ألا يفتح أبداً ..

سافر (جابر) إلى مؤتمر علمى فى (اليابان)

مؤتمر له ذلك الاسم الطويل الذى لا يمكن حفظه على

غرار (المؤتمر الرابع عشر لجراحات الأنسجة

المكوّنة لعناصر الدم - ورشة عمل) .. إلخ .

ولما كانت علاقتنا حميمة جداً ، كان الوداع مؤثراً

بحق ..

- « حان الوقت .. سلام ! »

- « حسن .. »

ووضع جواز السفر تحت إبطه ، ولحق بالسائق ..

وهو مشهد رأيته عشرات المرات فى حياتى .. كنت

أصرّ على أنه لا يحب شيئاً فى الكون سوى عمله

وسوى نفسه ، بينما كان يرى أننى لا أحب

سوى المسال والمظهر الاجتماعى .. محاولة

الظهور كـ (ليدى) ، ذلك الداء الذى يصيب زوجات

الأطباء الناجحين كثيراً جداً ..

أنا لم أطلب شيئاً سوى أن أجده بجانبى .. طفلة

حياتى الزوجية كنت أتصرف كأرملة . أفعل كل شيء

وحدى .. أحضر الحفلات وحدى . أذهب للأعراس

وحدى .. أتدق على الهاتف وحدى .. أدفع الموائد

وحدى . أزور شقيقاته وحدى .. أشتري ثيابى

وحدى ..

فقط حين يظهر - فى الثالثة بعد منتصف الليل -

أتذكر أننى متزوجة وأن زوجى حى يرزق .. لكن هذا

لا يدوم أكثر من نصف ساعة بعدها يتعالى شخيره ،

وفى الغالب يغادر الدار فى الساعة صباحاً وأنا نائمة ،

لهذا تعذّ له الخاتمة طعام الإفطار ..

والكارثة هى أن كثيرات يحسدننى على هذا الزوج

الناجح ، ويتملمن من أزواجهن الموجودين بكثرة ،

ولا يكفون عن العبث فى أصابع أقدامهم على الأريكة ،

وهم يتابعون بتوتر مباراة الأهلئ الأكثر أهمية لهذا

الموسم ..

زوج غير موجود أبداً .. وزوج موجود دائماً ..

وعلى المرأة أن تختار أحدهما للأسف ..

رفعت سماعة الهاتف وطلبت (نرمين) صديقتي ،
وهي أرملة شابة تعيش في (المقطم) بدورها :

- « (نرمين) .. هل لديك ارتباطات لهذه الليلة ؟ »
دوت ضحكتها الرقيقة الشبيهة بضحكة (عرسية)
أصابها سرطان الرئة ، وقالت :

- « لماذا تتحدثين بهذه الصيغة الرسمية ؟ ليست
لدى ارتباطات طبعاً .. إن بعضهن أتوات لزيارتي لو
كان هذا لا يضايقك .. »

- « البته .. »
وهذه من أوجه الخلاف بيني وبين زوجي ، فأنا
اجتماعية كأفراس النهر ، بينما هو متوحد نوعاً ،
وإن كان يقبل الاجتماعيات ، لأنها تتيج له التآلق
الإعلامي الذي يهواه ..

وهكذا ركبت سيارتي الصغيرة ، وتوجهت إلى
منزل (نرمين) ، وهي لا تعيش وحدها لكن لديها
طفلين وخادمتين .. وهذا شيء محبب في مكان
منعزل كهذا ..

وفي دلوها احتشلت أربع نساء من المثلة ،
بعضهن أعرف جيداً ، وهن جميعاً من نادي (الأرامل

/ المطنقات / المحيطات) الذي انضمت له من زمن ..
في هذا النادي يغدو الرجال شيئاً منسياً بعيداً
أو مكروهاً كالجحيم ..

كان الكلام تافهاً سطحيًا .. كالعادة ، والدعابات
مكررة .. باختصار كانت أمسية رائعة من الطراز
الذي يروق لي !

وفي الحادية عشرة مساءً فرغنا من العشاء ،
وجلسنا على مائدة مستديرة نلعب (الكونكان)
ونصفى لقواء (أم كنثوم) ، وكانت هناك امرأتان
تدخان ، رفعت واحدة منهما رأسها للسقف ، وراحت
تنفث الدخان في هيام .. وتفهم :

- « يا سلام يا ميت ! »
بعد نصف ساعة ، وقفت (نرمين) وأعلنت أنها
تشعر بالملل ، وأن ألعاب الورق لم تعد تروق لها ،
ثم قالت وعيناها تلتمعان بالحماس :

- « سأريكن مفاجأة صغيرة ! »
* * *
« اللي شفته .. اللي شفته .. »
قبل ما تشوفك عنيه ، عمر ضايح بحسبوه إزاي عليا ؟



كلا لم تعد لنا بنوح (ويجا) الذى تستخدمه النساء لتحضير الأرواح ، لو كان هذا ما جال بذهنكم ، وهو تسلية نساء كثيرات من هذه النوعية .

عادت بشيء ألطف بكثير جمجمة آدمية موضوعة فوق وسادة من (الساتن) الأحمر ، وقد وضعت شمعتان قصيرتان فى محرى العينين الرهيبتين ربه ' لم يكن منظرا محببا بالتأكيد ؛ خاصة مع ضحكة الموت العابثة الساخرة على فم الجمجمة .

قالت إحدى النسوة ضاحكة :

- « يا ساتر ! هل قررت استدعاء العفاريت لقضاء

الأمسية ؟ »

نظرت لنا (نرمين) لترى تعبيرات وجوهنا ، التى تبينت بين التقزز والفصول والاستمتاع ، وقالت :

- « إن لهذه الجمجمة شأنا كبيرا . وقد حصلت

عليها مقابل مبلغ لا بأس به من المال من ساحر

(تنزاتى) جاء إلى (القاهرة) منذ أسبوع «

اتفحرت النسوة مقهقهات ، وسعلت إحداهن كثيرا

ثم قالت بين ضحكاتها :

- « هو هو هوه ' هي هي هي ' أنت أيضا وقعت فى

شرك هذا الساحر « لقد وقعت (تازك) هاتم فى شرك

مماثل إن (القاهرة) تعج اليوم بهؤلاء السحرة

الافارقة ، وقد تقضى الرجل منها ألفى جنيه مقابل أن

يجعل .. هي هي ' هو هو هوه ' يحبها ويطلب يدها

للزواج .. أنت تعرفين الفراغ الذى تعيش فيه منذ

مات زوجها .. وحسبت تلك الشمطاء أن

هنا قاطعتها إحدى الجالسات فى استمتاع :

- « يجعل من يطلب يدها ؟ »

قالت فى مكر وهي تنفث دخانها :

- « لن أقول .. البهوت أسروا ! »

- « بالله عليك قولى يا (سوزى) إن هذا حبر

الموسم .. »

كأنت (سوزى) تتمنى الإلحاح ، وبإلطبع كانت

متذكر الاسم :

- « الأستاذ (محمود عوتى) ؟ »

وانفجرت النسوة ضاحكات كما يضحك المعلمون

فى مقهى (بعجر) ، فلم ينقصهن إلا أن ييصقن على

الأرض ، ويطنين المزيد من الشاى (الكشرى)



وهنا قطعت مدام (ناهد) حكايتها ، ونظرت
معتذرة إلى الأستاذ (محمود عوني) قائلة :

« معذرة يا أستاذ .. هذا هو ما حدث .. »

لكن فارس الأحلام كان نائما ، وقد تدلى فكه في
غيباء ، وتصاعد منه شخير كفيل بإيقاظ الصم ..
ابتسمت لي ، فقلت لها :

« لا عليك يا سيدتي .. إن الرجل لا يضايقه في
شراء أن تستعين النساء بالمسحرة كي يحصلوا على
حببه .. لربما كان هذا مصدر فخر له إلى حد ما ،
حتى ولو كن من طراز (نازك) هاتم هذه .. »

قالت مدام (ناهد) :

« إن النساء قد ينجذبن إلى عقل الرجل الناضج
أحيانا .. »

« لكن ليس دائما للأسف ! يمكنني أن أؤكد لك
هذا ! »

قالت مدام (ناهد) :

الحقيقة هي أن هذه المجموعة من النسوة كن
حشدا من العقول الخاوية التافهة .. لا يثير شغفهن

سوى آخر فضيحة ، ويسيل لعابهن للقليل والقال
إتهن عاطلات بالوراثية ، ثريات إلى حد الاختناق ،
وفكرهن أضحل من فكر دجاجة ..
حقا ! أحيانا كنت أشعر أنني وسط مجموعة من
الدجاج ، لا يكف عن الصياح والتضارب بالمناقير ،
وبعثة الأزل ...

أعود لقصتي إذن

قالت (نرمين) في كهرياء وهي تمسك بالجمجمة :
« إن السحرة يختلفون .. هذه الجمجمة هي
لساحر (تنزاني) فائق القدرات ، ومن المؤكد أنها
تحقق أمنية واحدة لكل من يطلب منها شيئا .. »
« هذا ما قيل لـ (نازك) بالحرف ! »
ومن جسد دوت الضحكات الساخرة ..
هي ي ي ي ي ي !

الآن بحمر وجه (نرمين) في عصبية . تضع
الجمجمة على المنضدة المستديرة بينهما . تأخذ
قداحة إحداهن لتشعل بها الشمعتين في المحجرين ..
تقول في تحد مسافر :

« دعينا نجربا ! وسنرى من يضحك أخيرا ... »

- « رهان ؟ » -

- « رهان ... » -

- « فتبدنى أنت يا صغيرة اطلبى شيب عسيرا

مثل .. مثل ... »

وحكت (سوزى) ذقتها المزدوجة بظفرها ، ثم

قالت فى خبث :

- « اطلبى أن يعود زوجك المرحوم للحياة '' »

- ٢ -

لشوان ساد صمت بليغ ، وتلاقت عينا المرأتين

فى تحد واضح . ثم همست (نرمين) بصوت

مبحوح :

- « ليكن .. سأعنى هذا الآن ! »

انتصب شعر ساعدى ذعرا ، وصحت .

- « لا يا (نرمين) ' لا مزاح فى أمور كهذه .

كله إلا هذا .. »

فى تحد همست دون أن تنظر لى :

- « تأخرت يا صغيرتى أتمنى ان يعود زوجى

لى ! »

نصاب يكسب رزقه من الثريات خاويات العقل

هذا هو ساحرها الإفريقى حتم هو كذلك

ولكن . لو كان هذا صوابا : فلماذا انطفأ النور

الكهربى فى اللحظة ذقتها ؟!

دوت بعض صرخات ، وشهقت واحدة منهن حينما
لم يعد من نور سوى البصيص الأحمر المنبعث من
عينى الجمجمة ..

ثم عاد النور الكهربى من جديد .. ومعه ساد جو
من التوتر .. لقد مات المرح للأبد ، وبدأ أن الخوف
قد انضم لمجالسنا ..

همست إحداهن ويداهما ترتجفان :

« أخشى .. أخشى أننا ارتكبنا خطأ جسيماً .. »

فى ثقة قالت (سوزى) وهى تنهض :

« لا تكونى سريعة التأثير يا (نانى) .. هل
تتصورين أن نجىء غدا لنجد (قاسم) بك جالساً فى
غرفة المعيشة يشاهد التلفزيون ؟

لو كان هذا ممكناً لطرت فرحاً .. سأتمنى وقتها أن
يموت زوجى أنا ! »

وانفجرت ضاحكة لكن أحداً لم يشاركها المرح ..

وببطء بدأت الموجودات ينسحبين .. كل واحدة
منهن تقبل (نرمى) وتشكرها على الصهرة الطيبة ،
ثم تهرع بخطا مرتجفة نحو باب الخروج ، كأنما
تتنفس الصعداء ...

★ ★ ★

وكذا وقلت و (نرمى) نتبادل نظرات صامتة
تقول الكثير ..

قالت وهى ترتجف انفعالاً :

« هل ستتركينى أنت أيضاً ؟ »

كدت أفتح فمى ، لكنها احتضنتنى فى عنف ،
وهمست والدموع تخلق صوتها :

« أرجوك لا تذهبي ! إننى خائفة .. أموت هلعاً .. »

« لكن ... »

« إن زوجك مسافر لعدة أيام ، ولا أطفال لك ..

ما المشكلة لو أمضيت معى ساعات الليل هذه ؟
مأطلق مراحك فى الصباح .. فقط لا تتركينى فى

ساعات جزعى وتوجسى .. »

ماذا أقول ؟ لا شىء طبعاً ..

وهكذا قبلت أن أمضى الليل مع (نرمى) ،
والحقيقة هى أننى خفت بدورى أن أعود ليهتى الخالى
فى هذه الليلة بالذات .. هى لديها خايمتان وطفلان
وبرغم هذا خائفة .. ماذا عنى أنا ؟

★ ★ ★

تجهت (نرمى) إلى المطبخ ، وعادت حاملة

صحفة عليها كوبان من الشاي لا يدلان على براعة
في التقديم .. ووضعتها أمامي ..

- « أين الخادمتان يا (نرمين) ؟ »

- « في إجازة .. ألم تلحظي هذا طيلة السهرة ؟ »

- « والطفلان ؟ »

- « نائمان كالملائكة في غرفتهما .. سنتكلم قليلاً

وتحكي لي عن آخر مشاكلك مع زوجك ، ثم ندخل

لننام في غرفتي .. ولن نتكلم عن المسحرة الأفارقة

أبدأ إذا كان هذا يروق لك .. »

- « ليس أحب لي من هذا .. »

وكذا أمضي ساعة أو أكثر في ثرثرة نسائية

سخيفة ، ثم نهضت (نرمين) وتمطت وأعلنت أن

الوقت قد حان للنوم ..

كان هذا حين بدأ جرس الباب يدق ...

تبادلنا نظرة فزعى .. نظرة أنثيين سمعتا جرسنا

بعد منتصف الليل .. وهمست في رعب :

- « جرس الباب ! هل تنتظرين أحداً ؟ »

مطت شفطها السفلى أن لا ، وأنصت السمع .

- « لا بد أنه متشرد قد .. »

من جديد عاد الجرس يدق بإصرار ، ضاغطاً على

أعصابنا بالحاح وازداد توترنا ..

رأيتها تهرع لتفتح الباب ، دون حيلة ، فصحت

بها :

- « توقلي يا حمقاء ! لا بد من أن نعرف القادم

أولاً .. »

كان هذا سهلاً فالبيت يشبه بيتي . (فيللا) من

طابق واحد ، لها باب رئيسي مزود بعدسة كاشفة .

أضأت نور المدخل ، ونظرت عبر العدسة ، فلم أر

أحدًا .. كان المدخل خاوياً ، فلابد أن من دق الجرس

كان يقف جوار الباب الآن حيث لا يرى بسهولة

وبالتأكيد لغرض يختلف عن بيع اللبن ..

كأنت هناك خرق من قماش ملقاة كيفما اتفق أمام

المدخل ، لكني لم أدر سبب وجودها في تلك اللحظة .

- « من الطارق ؟ »

سألتني في لهفة ، فهزرت رأسي :

- « لا أرى .. لكن بوسعنا تركه حيث هو .. شيء

يحدثني أن فتح الباب حماقة ما بعدها حماقة . »

نوى رنين الجرس ثانية ..

ثم جاء صوت الطرقات للضيف المصير .. طرقات
من يعرف أن له كل الحق في الدخول هاهنا ..

يوم يوم ! يوم يوم ! ..

ثم صوت رجل ينادى :

- « (نرمين) ! (نرمين) ! »

نظرت لوجه (نرمين) أملّة أن أجد عدم الفهم
على وجهها ، لكنى وجدت وجهها يتبدل ببطء - كما
يتحول بطل الفيلم إلى مذعوب في السينما - ليمرّ
بطور من الدهشة ، فالرعب ، فالحيرة ، فالفهم ، ثم
بدأت ابتسامة ترسم على ملامحها ..

ابتسامة هي أقبح ما رأيت في حياتي ...

- « (قاسم) ! لقد عاد ! »

- « هل تمزحين ؟ »

- « الصوت صوته .. لقد عاد بحق ! »

ومن جديد عاد الطرق والرجل يصيح في نفاذ

صبر :

- « (نرمين) ! »

رباه ! وقطع القماش المعزقة أمام الباب !

ورأيته تهرع إلى الباب ، وتعالج المزلاج في
هستيريا ، وهي لا تكف عن الصياح كأنما جن جنونها :

- « زوجي ! لقد عاد ! ليس معه المفتاح ! الأكفان
لا تصلح لتعليق المفاتيح . هذا طبيعي .. صبراً
يا (قاسم) سوف . »

- « هل جنتي ؟ »

وهرعت أمتعتها

لأن يدخل هذا الشيء إلى المكان ، أكان زوجها أم لم
يكن .. يجب أن أمنع هذه المجنونة من ... كانت
قوية بحق وقد منحتها الشهفة قوة عاتية .. لكنى
تشبّثت بمعصمها فلما لم أفلح غرست أسناني بقوة في
لحمه .. صرخت وتراجعت للوراء ، بينما الصوت
يتوسل :

- « (نرمين) ! البرد شديد هاهنا ! »

صاحت في تمر وهي تتحسس موضع العضة :

- « هل جنت أيتها الحمقاء ؟ »

- « هل أنت من جن ههنا .. كيف تسمحين لشيء

كهذا بدخول دارك ؟ »

لو كان زوجك فهي كارثة ، ولو لم يكن زوجك
فالكارثة أعظم .. «

- « لكنه (قاسم) .. زوجي ! »

- « يا سلام ! ألا تجدان ما يخيف في كل هذا ؟ »
بدت على وجهها رقة بنهاء ، وهمست بينما
الطرقات تتعالى :

- « (قاسم) رقيق كاللحم ، ولن يوذيق »

المصيبة هي أنني بدأت أصدق هذا كنت واثقة
من أن الموتى لا يغادرون قبورهم ، لكن ما هي قدرات
الصحر الأسود بالضبط ؟ هل يمكن أن

- « (نرمين) أرجوك لا تفتحى هذا الباب ! »

- « أربنى سبيبا يمنعنى ! لقد تحققت أمنيى
الوحيدة ! »

- « ولكن ... »

هنا وجهت ركلة لساقى ، ثم كوزت قبضتها
ودفنتها في معدتى ، وعندها وجدت نفسى أتوى على
الأرض ، بينما هي تعالج المزلاج فى صبر
- « أين وضعت المفتاح ؟ لقد أغلقته بالمفتاح .

سوف »



وهرعت أسمعها

لن يدخل هذا الشيء إلى المكان ..

وهرعت تفتش عن مفتاح الباب ، بين كل تلك
الأكواخ الخزفية التي يعلقونها جوار الأبواب لتتدلى
المفاتيح منها ..

لم تكن أمامي فرصة أخرى سوى

ها هي ذى الجمجمة . مازالت تضحك ضحكة
الموت الساخرة ، وبقايا الشمعتين في المحجرين لن
تنته بعد ..

هل يمكن أن ؟

تقززت من الفكرة ، لكنني تقززت أكثر من أن
ينفتح الباب لأجد هذا الشيء العجيب أمامي .. لماذا
قبلت المبيت ها هنا ؟

ودنوت من الجمجمة ، وأغمضت عيني ، وتمنيت
بصوت عال :

- « أتمنى أن يرحل هذا الشيء الآن ! »

وانتظرت أن ينطفئ النور ، فقد تعلمت أن هذه هي
علامة قبول الأمنية ، لكن شيئاً لم يحدث ..
أغمضت عيني وتمنيت بصوت أعلى .

- « أتمنى أن يرحل هذا الشيء الآن ! »

وعندها حدث شيء غريب .

انفتح الباب لأجد .. كل النسوة اللاتي كن في
الأمسية يدخلن للمكان ، وكلهن يقهقهن في مرج
مجنون ، ومعهن بواب الفيللا الذي رأيتُه عند قدومي
في بداية الأمسية ..

والأغرب كان التبدل في موقف (نرمين) .. لقد
استندت بذراعها الأيمن إلى الباب كأنها لا تستطيع
الوقوف ، وراحت تهتز مراراً بضحكة مجنونة . ثم
انتصبت مترنحة ، وصاحت :

- « هي هي هي ! هل رأيتن ؟ »

ثم أشارت إلى البواب الذي كان يضحك بدوره :

- « هذا هو صوت المرحوم زوجي ! »

كنت الغباء مجسداً ، لذا قالت (سوزي) وهي

تجفف بموعها

- « موع الضحك - بمنديل :

- « معذرة يا (ناهد) .. لقد راهنتني (نرمين)

على أنها قادرة على جعلك تموتين ذعراً .. قلت

لها إنك قوية جريئة ، لكنها أصرت على هذا .. طلبت

مساعدي ، وأعدت لك هذه التمثيلية من الجمجمة إلى

الطرفات على الباب .. وطبعاً (عباس) هو من أطفأ

النور لحظة التمني لقد بنع بك الذعر إلى حد أن
تتوسلى إلى هذه الجمجمة الحمقاء !

نظرت نهن غير مصدقة ، وقتت شيئا على غرار
- « أنتن .. أنتن »

ضربت (برمين) على كتفى فى مرج ، وهتفت :
- « لا تتسى أنك مزقت لحم ساعدى هيا يا صغيرتى

be a Sport (كونى ذات روح رياضية) !
انزععت يدها فى عصبية ، وهرعت اغادر هذا
المنزل المنحوس فى الظلام ..

مرحة ! مرحة قسسية ! من أى حجر قدت هذه
الفتوب ؟ امرأة تقحم ذكرى زوجها الراح فى مرحة
كعذه ، ونسوة طللن ينتظرن فى الظلام كل هذا الوقت
كى يتسنيين عنى حسبى وأنا أب الحمقاء التى
تم استغلالها عاطفيا ونفسيا دون ذنب جنته

كنت أقود سيارتى ، أكاد لا أرى شيئا من الدموع ،
وأقول من بين أسناني :

- « حمقاوات ! عشيرة من الدجاج خاوى العقل !
غيبات !

« غيبات ! غيبات ! »

★ ★ ★



الباب السابع

« زنزانة خريولسن »

يفتحه : د. د. (رهعت إسماعيل)

« لم أعلم وقتها ما يرمى إليه الرجل ، ولم
أعلم أننى أول دم أجنبى يدخل هذا الكهف من
سبعة أجيال .. »

انتهت مدام (ناهد) من قصتها ؛ وكان من السهل
أن تدرك الأثر الحقيقي لما حدث لها ، من رجفتها ،
والدمع الذي بدأ يحتشد في عينيها ويسيل من أنفها ..
إهانة لم تعدها ولا تجد لها داعياً ..

قلت وأنا أنتى سالى تحتى :

- « كنت أتوقع هذه النهاية بسهولة .. فعودة
الموتى من قبورهم أمر يتعارض مع الدين ومع العلم
معاً .. والإساءة الحقيقية التى سببتها لك هذه الدعاية
هى جعلك تفترضين أن هذا ممكن .. لقد اصطدمت فى
حياتى بكثير من التجارب المماثلة ؛ لكن هذا المقياس
لا يخبى أبداً .. ربما قابلت مذعوبين ، وربما قابلت
أشباحاً أو مصاصى دماء ، لكن الموتى لا يعودون من
قبورهم أبداً .. »

- « لم يكن ذهنى بهذا الوضوح وقتها .. »

هنا سألتى المطرب الولهان بصوته المبحوح :

- « هل لديك بدورك قصة عن باب ؟ »

نظرت حولى .. كان (محمود عونى) نائماً ، وكذا
شاعرتنا الثائرة .. وقد ضايقتنى هذا لأنى فقدت اثنين
من جمهورى .. لكن ما كنت أملك حماساً زائفاً
يجعلنى أوقفهما ...

قلت بعدما تشاءيت :

- « سأحكى لكم أفضلها .. ولكن لاتقا .. آآآ ..
طعونى .. »

★ ★ ★

قلت لهم :

الباب الذى أتحدث عنه لم يكن فى مصر ..

لم يكن فى مكان تعرفونه ...

الباب الذى أتحدث عنه لم يكن باباً خشبياً
أو حديدياً ؛ بل كان أقرب إلى جدار سميك يهدم
ولا يفتح ...

لكن الناس هناك كانوا يسمونه باباً ...

★ ★ ★

كان هذا فى (إنجلترا) .. فى كهف قرب قرية فى
(ويلز) ...

كان الفلاحون يمرون امام الكهف ، ويتكلمون عن
(خريونس) الحبيس هناك ، وعن الساحرة التى
انجبتة ، والتى اعدمتها محاكم انتفتيش ودفتها
ها ها فى ما سموه بـ (زنزاة خريولسن)
قالوا ان الساحرة فى لحظة احتراقها قالت
- « سيحل الشؤم بكم سبعة أجيال وسيعود
ولدى (خريونس) حين يفتح الباب له رجل من دم
أجبنى »

كانت هذه هى السوءة وقد نسيها كثيرون .
لكن لم ينسه احد هو أن المصائب لم تفارق
الفرية لحظة ، طيلة تاريخها المديد

وبعد أعوام طويلة جئت إلى الكهف ، لأقف أمامه
مع د (هنرى ليستر) ، وقال لى الرجل كلاما كثيرا
عن الآثار العتيقة التى وجدها فى هذا الكهف ، والتى
تضيف الكثير إلى معلوماتنا عن تاريخ (ويلز) فى
القرون الوسطى ...

نادونى مطرقة ، وطلب منى أن أفتح هدم هذا
الباب الحجرى ، الذى يفصل ثلث الكهف عن ثلثيه ،
والذى لم يجرب أحد عبوره .

- « ولماذا لنا ؟ »

.. « لأنك ضيفنا .. وهذا شرف لنا .. »

واتنشيت فخرا ، وبدأت أول ضربات احاول بهت
تهشيم هذا الجدار . ونم اعلم وقتها ما يرمى إليه
الرجل حقا ، ولم أعلم أننى أول دم أجبنى يدخل هذا
الكهف من سبعة أجيال .. ولم

وهنا توقفت عن مرد قصتى ...
لقد سمعت جميعا صوتا غريبا جمد الدم فى
عروقتنا ...

الخاتمة

« أنا لو ألساكو هافتكر مين ؟ »

.. من بعد هواكو حياتو انين «

- ٩ -

لم أجد الوقت الكافي لاستكمال قصتي عن زلزلة
(خريولسن) ، والتي أعدد القراء بأن أحكيها بالتفصيل
يوماً ما ؛ لأن صوت جسم ثقيل يسقط ثقب مسامعنا ..
ولفتح من كان غافياً عينيه في دعر ، وتساءل :
- « ما هذا ؟ »

نهضت مدام (ناهد) ، ونظرت في حذر إلى
الغرف المغلقة ، وقالت :

- « الصوت من غرفة المكتب ! ثمة شخص هناك ! »
وقفنا متصلبين ؛ عاجزين عن اتخاذ قرار صائب ،
وقال المخرج العجوز (أبو النجا) في توتر :
- « فلنر ما هنالك ! »

قلت له وأنا أضغط على معصمه في رفق :
- « لا تنس الاتفاق وما نحن فيه الآن . ربما
كانت هذه وسيلة لجمعنا أنفس الحذر ، ونندفع بحماسة
إلى الحجرة .. »

في ضيق غمغم (محمود عوني) ، وهو يفرك
عينيه :

- « لقد طالّت هذه الدعية على كل حال ، والساعة
الآن الثامنة والنصف صباحا لا بد من نهاية ما .
إن هذا موعد وصولي الى الجريدة ، فثنا طائر
مبكر ولم اتخل عن هذا ثلاثين عاما إلا لإجازة
قصيرة .. »

- « أنا كذلك لدى ما أحتاج للعودة إلى داري من
أجله . بالمناسبة أنا سعيد بكونك تعمل بهذا الحماس
صباح الجمعة .. »

- « ليست هناك عطلة أسبوعية للصحفي .
- « لهذا أرى أن الوقت قد حان كي نعيد تقييم
الموقف ، ولربما قررنا أن نفتح أحد هذه الأبواب بعد
كل شيء .. »

شطار وشاي من جديد !

لقد التهمت شطائرا وشربت شايًا في هذه الليلة
كما لن أفعل طيلة حياتي لو عشت ؛ والمشكلة هي
أن كل هذا الشاي ألهب معدتي ، وجعلني أجتاز حالة
(اللانوم - لا يقظة) التي امقتها . ذهني مبطل كمن

يتهيأ للنوم ، لكنه متوتر مشدود كمن في نروة
يقظته لا يستطيع البقاء مفتوح العينين لكن
- كذلك - لن أقام لو حاولت ..

قلت لهم :

- « الموقف الآن بسيط جدًا . لقد انتظرنا لفترة
طويلة ، وما زال من الممكن أن ننتظر أكثر ، لكن
هناك خيارًا آخر هو أن نحشد أعصابنا وندخل . في
هذه الحالة على كل منا أن يخمن الباب الصحيح ،
وعليه أن يقدم أسبابًا مقنعة . »

قلت (هيام) وهي تطرف بعينيها الحمرأوين من
فرط المسهاد :

- « الأمر واضح . الغرفة الآمنة هي غرفة
السينما . أكثرنا هنا فئاتون لهم علاقة بفن
السينما ، ولا بد أنه يخبرنا أن الفن هو خلاص مما
نحن فيه .. »

- « ربما كان العكس ! »

قالتها (ناهد) في ثقة ، وأردفت وهي تنظر
لعيوننا .

« لقد كان زوجي يسخر في سره منكم ، ويكره
افتعال وضحالة بعضكم . ومن الوارد جداً أن يضع
انتقامه في هذه الغرفة بالذات .. »

أضفت أنا وقد راق لي كلامها :

« هذا يبدو معقولاً .. وأضيف أنا أنه لو كان قد
قرأ (شكسبير) : فمن المنطقي أن يكون الباب
الصحيح هو أقل الأبواب جاذبية وبريقاً . مثلما حدث
مع صورة الحسناء (بورشيا) في (تاجر البندقية) ..
إنني أرشح باب غرفة المكتب .. »

نظرت لي (ناهد) غير فاهمة ، وتقلص وجهها
مستنكرة :

« أظن أن باب غرفة الجلوس هو الأنسب
للصواب .. ما دام يعتقد أنه شهيد الحياة الزوجية مع
امرأة مفترسة مثلي .. يريد أن يقول لي : إن النجاة
هي في حياة منزلية مستقرة .. »

قال الأستاذ (محمود عوني) وهو يشعل غليونه ،
بعد إفطار حافل :

« أنا أضخم صوتي لد (رافعت) بصدد غرفة
المكتب . فالرجل مثقف عالم ؛ ولا بد أن هذه الغرفة
مقدسة بالنسبة له . »

هذا يضع النقاط على الحروف «

في اشمزائر قالت الشعرة دون ان تنظر لأحدنا .
« حمقى هم أنتم . تمشون لنهايتكم في إصرار

كدراما إغريقية كتبها (سوفوكليس) »

« معروف أنا حمقى .. لكن لماذا هذه المرة ؟ »

سنت قدميها في حذائها ووقفت . وقالت دون أن
تنظر لنا :

« رقم سبعة . الرقم المختار ألا يشير

لشيء ما ؟ »

هنا اتسعت عينا (ناهد) في فهم وارتجفت
شفتاها :

« رباه ! غرفة السينما بها سبعة مقاعد أنت

محقة يا (نادية) . إنها لم تنس هذا الرقم . لأنها

دخلت تلك الغرفة مراراً ، لترى أفلام الهواة التي كان

زوجي يصورها . لقد سألته يوماً ساخرة عن سبب

إصراره على سبعة مقاعد لا أكثر في هذه الغرفة .

لماذا لم تكن ستة أو ثمانية مقاعد ، فقل لها إن رقم

(سبعة) مهم بالنسبة له ... »

هنا فرد (سمير الصيد) يديه كذا يعنى . ورفع
حاجبيه حائراً :

- « وهذا معناه الدخول ام عدم الدخول ؟ »
- « ياله من سوال ! الرجل يتدعئ برقم سبعة
ندخل طبعاً ! »

قلت لها مفكراً :

- « بالعكس لو فكرت بطريقة اخرى لاحتمت
عن الدخول نحن سبعة ونهايتنا فى غرفة ذات
سبعة مقاعد رقم (السبعة) يأخذ طبعاً ملحم
محبباً للنفس .. »

من جديد ابتسمت التساعرة فى تعة ، وهضت الى
مكتبة أليفة على الحداد تراصت عيها كتب لم نلاحظها
طبعاً طينة الامسية ، وانتشرت الى الكعوب ، وقلت .

- « ثلاث نسخ من كتاب (أعمدة الحكمة السبعة)
الذى كتبه المعاصر الشهير (نورانس) الذى لقبوه
به (نورانس العرب) هذه رسالة واضحة جداً .
ومستكنكم هي أنكم سطحيون فقد اعتادت عيونكم
أن تترلق انزلاق فوق الكتب ، بينما تثبت على تدهت
الحياة .. »

وأخذت شهيقاً عميقاً وقالت :

- « الحل يكمن فى غرفة المكتب ! »

قال المخرج الكبير فى مخزية :

- « يا سلام ! بهذا الوضوح » لم لا يكون قد
قصد فيلم (نورانس العرب) الذى اخرج (ديفيدن) .
والذى قدم (عمر الشريف) لتسبب العالمية ؟ ها
يكون مفهوم انه يتسير لغرفة السينم ؟ »

ونهض متاوها ، فقد تحولت ساقه الى نوحى
خشب بعد كل ما جنس حصة مع داء التهاب العظم
المفصلى ..

قلت بدورى بلهجة الحسم .

- « الحق أنت نظيل التفكير أكثر من اللازم ربما
لم يكن الرجل يقصد شيئا اصلاً ربما ليس بهذه
الثقافة وحلو البال لسنا - بعد كل شيء - فى
حنقة من حنقت (هولمز) ، ولا نحن بصدد قصة
(الحشرة الذهبية) - (إيجار الآن بو) ربما كان
الأمر أنه من هذا من أية حجرة سمع صوت
الارتطام ؟ »

قلت مدام (تاهد) مشيرة بأمانها نحو باب من
الأبواب .

- « من غرفة المكتب .. هنا ! »

.. « انن لننتوكل على الله ونفتحها .. لو ظنننا
ها هنا الى يوم الدين فلن نصل الى قرار ما . »

- « أنت الاول يا د . (رفعت) ما دمت صاحب
الفكرة ! »

وتركوني اتقدم الى الباب ، وتراجعوا تحسبنا
للاسوأ ..

ارتجفت يدي قليلاً الحقيقة هي أن الباب اكتسب
ثقلًا معنويًا رهيبًا بالنسبة لي ، وشعرت كأنني على
وشك فتح بوابة (جانب النجوم) ذاتها . العقبض
بدور ريقى يجف نبضى يتسارع .

صوت صرير خافت . ثم

ثم (هيام) تصرخ في هلع ..

- ٢ -

ووثبنا جميعًا للوراء ، سيف ركض الفدر الأبيض
الصغير بين سيقاتي وكانت صرخة (هيام) شبيهة
بامرأة ينتزعون عينها بمسمار صدى

- « فلر ! إى إى إى إى ! »

صحت في هيستريا :

- « صمتًا ! »

إن النساء يصرخن دوم حين يرى فئرا ، لا بسبب
الذعر على ما أظن ، ولكن لأن العادة تحتم أن
يصرخن . وذعرهن يكون مخف عثر من الفأر
نفسه ..

وعدت أنظر عبر فرجة الباب الى الحجرة

كانت مظلمة هادئة أنيقة ، نسوع برائحة عطر
خفيف رجولى ، يمتزج مع رائحة انكتب المحببة
امتزاجًا .. مكتب فخر من طراز (لويس ما)
لا بد أنه أحد (اللويسات) الذين يحير إليث أنهم
لم يفعلوا سوى صناعة آلات في فترات حكمهم

الكتب على رفوف جدارية ، أكثرها طبى طبعا ..
لمحت هذا فى الضوء الخافت القادم من وراء ستار
من القطيفة ..

على الأرض أمام المكتب كان كتابان قد سقطا ،
وانفتحت صفحاتهما ، وفى ركن المكان هرع فلر
أبيض يتوارى مذعورا ...

قلت لمدام (ناهد) وأنا أدخل باطمئنان أكثر .
- « هذا هو مصدر ما سمعناه .. أحد الفلارين أسقط
الكتابين من موضع خرج كاتا فيه على حافة المكتب .. »
قالت (هيام) فى اشمزلة ، وهى تواصل النهية :
- « فلران فى بيتك .. رباة ! كنت أحسبه نظيفا ! »
قلت قبل أن تفترسها (ناهد) .

- « فلران بيضاء ! هذا يدل على أنه اشتراها
خصيصا ليضعها هنا .. لو كانت الفلران التى تتسلل
للبيوت القنرة بيضاء ؛ لبدا لى هذا جميلا .. »
- « وما معنى هذا ؟ »

- « لاشيء سوى العبث .. كان يعابثنا ، بالإضافة إلى
أن أصوات الفلران فى أثناء حركتها ستملونا بالتساؤلات
حتما .. إنها لعبة أعصاب مختارة بعناية .. »

واتجهت إلى باب غرفة السينما لأفتحه ..

ولم تكن هناك فلران بالداخل ..
فقط سبعة مقاعد ، وشاشة بيضاء ، وآلة عرض ،
ومطفأة تبغ هنا أو هناك ... ولاحظت أن آلة العرض
معبأة بفيلم ..

ساد الصمت .. ثم قالت الشاعرة الثائرة :
- « يبدو الأمر موحيا .. يريد منا نحن السبعة أن
نجلس ونشاهد هذا الفيلم ، ولا يعلم إلا الله - تعالى -
ما يحويه .. »

دنا المخرج العجوز من آلة العرض ، وعالج
زرأ بها ، من ثم بدأت الأرقام المميزة تتوالى على
الشاشة ، ثم بدأت الصورة مع الهدير ...

كان هذا هو (جابر) شخصا .. على الشاشة ..
ومن الواضح أنه قام بتصوير نفسه فى غرفة المكتب ؛
لأن الإضاءة لم تكن على ما يُرام ، ومعظمها
من الناحية اليسرى حيث النافذة كما فى لوحات
(رمبرانت) ..

- « مرحبا بوصولكم إلى هنا ! »

قالها وهو يتنسم في خبث ، فتبادلتا النظرات ..
هذه بالفعل رسالة واضحة مباشرة لنا.. قال المطرب:

- « إذن كان الأمر »

- « إخرس ! »

- « إخرس ! »

دوت ست عبارات (إخرس) ، فخرس ، ولولا
الظلام لقلت إن أذنيه احمرّتا خجلاً .. آخر شيء
نحتاج إليه هو الاستنتاجات الذكية ..

وعلى الشاشة واصل (جابر) الكلام في تودة :

- « لا أدرى من بقى منكم هنا ليشهدوا هذا الفيلم ،
ولا أدرى إن كنتم وصلتم إلى هنا بالصدفة أم بتفكير
منظم .. لكنى أرحب بكم .. فى الواقع خطرلى أن
تلمجنى إلى رقم (سبعة) سيذكركم بالفن السابع :
السينما ، ويقودكم إلى هنا ..

« الآن أعتر عما سببته من أذى وقلق لكم ...

« لو سارت الأمور كما أتخيل ؛ فلا بد أنكم أمضيتم
ليلة سوداء تضربون أحماسنا بأسداس ، وتسمعون
عن انتقامى .. فى الحقيقة هذا هو الانتقام بعينه الذى
رتبته لكم .. »

« أنا لست إرهابياً ولا خبيراً فى تدريب الكواسر
والوحوش » أنا رجل مثقف مسالم ، ولا بد من
انتقامى أن يكون مثقفاً مسالماً كهذا ..

« لا باكتريا طاعون .. لا عنكب سامة .. لا الغام
أرضية .. ولا حتى إباء من الزيت المغلى يسقط فوق
رأس من يفتح الباب ..

« فقط الخوف من المجهول .. فقط عدم الاطمئنان ..
« هذا هو انتقامى .. أما لماذا أنتقم منكم ؟ فقد
سمعتهم شريط التسجيل ، وهنا أضيف أن المجتمع
يعانى من غثاثة وهشاشة وتفاهة لا تصدق ..
وما فعلته هو بمثابة صرخة احتجاج أخيرة تقول :
أنت تالفه بحق أيها المجتمع .. جرب مشاعر القلق
مرة واحدة على يدى

« والآن أفارقكم دون ضغائن .. وأعرف أننا لن
نلتقى ثانية .. إن محامى يملك كل التفاصيل القانونية
يا (ناهد) ، ويعرف كيف يستعيد جسدى من
الولايات المتحدة ليُدفن فى قريتى : وهو سيرتب لك
كل تفاصيل الميراث .. فلا تقلقى .. »

هنا صاحت (هيام) وقد شعرت بأنه ينهى الكلام :

« لحظة ! أين المخرج من البيت ؟ »
كأنما سمع صيحتها ، ابتسم بغيث على الشاشة
وقال :

« بالمناسبة كدت أنسى أن أخبركم بطريقة الخروج
من هنا .. إن الباب الرئيسى مفتوح ، وليس مغلقا
بالمفتاح كما توهمتم !
« والآن وداعا ! »

وخرجنا كأطفال أشقياء ، سمحت لهم المعطمة
القاسية بالفسحة نضحك فى بلاهة .. نرمق السماء
غير مصدقين .. نضرب أكفنا مصافحين ، وراحت
(هيام) تدور حول نفسها وقد فردت ذراعيها ، مئات
المرات كأنها (نحلة) مما يلعب بها الصبية .. أما
الشاعرة فراحت تسعل معبرة عن سرورها ..
لقد كنا بنهاء بحق ..

هذه إهانة عاتية ، جعلت منا الغباء مجسدا .. ولن
ينسى أحدنا أبدا هذه الصفة الوهمية على خذه ، كلما
فكر فى ذكاله وبراعته ..
لكن كل شيء انتهى على ما يرام ..

وبعد أسبوعين توفى د . (جابر) فى مستشفى
ب (منيسوتا) ..

تفرقنا وتباينت مصائرنا ، لكن كلاً منا لم ينس قط
هذه اللحظة الإنسانية الحميمة التى وُحِّدت بيننا ،
وشعوره بأن الآخرين لم يكونوا بهذا السوء ..
ربما تستطيع أن تحبهم بشيء من الجهد لو أردت ...

كانت هذه حلقة الرعب الرابعة
تُرى هل أخبركم الآن بمحتوى حلقة الرعب
الخامسة ؟

بالطبع لا .. هل تعرفون لماذا ؟
لأن هذه حلقة أخرى .

د . / رفعت إسماعيل
القاهرة

ما وراء الطبيعة

روايات تعجبني الأبطال
من لوط القموص والرمح والفرس

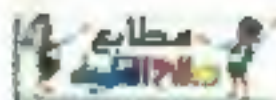
روايات مصرية الجذب

وراء الباب المغلق

ماذا ينتظرنا خلف الباب
المغلق؟ ماذا لو مدينا أيدينا
المرتجفة إلى المقيض؟ ماذا لو
سمحنا لفضولنا بأن يرتوي؟ هل
نعود أحياء؟ هل تبقى بحلوقةنا
قوة تسمح لنا أن نحكي
ما حدث؟ هل تظل لدينا
حقوق أصلاً..



د. أحمد خالد توفيق



العدد القادم :

أسطورة فرانكنشتاين

المؤسسة العربية الحديثة

القاهرة - بيروت - دمشق - الرياض - جدة
10000 - 10000 - 10000 - 10000 - 10000
10000 - 10000 - 10000 - 10000 - 10000

